

1973
قافلة الزيت
ربيع الثاني ١٣٩٣ - مايو / يونيه ١٩٧٣
لا إله إلا الله محمد رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الرابع المجلد الحادي والعشرون

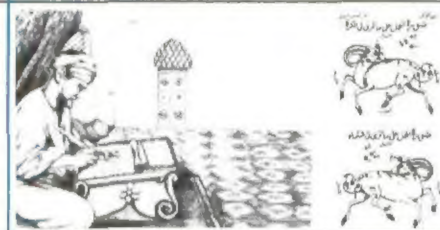
تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الامريكية لموظفيها
ادارة العلاقات العامة توزع مجاناً

العنوان صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد



بحوث أدبية



بحوث علمية



إستطلاعات مصورة

التعليق على صورة الغلاف



مجموعة من الكشافة السعوديين في استعراض عام خلال المهرجان الكشفي الذي اقيم في مدينة الخبر .
راجع مقال : الحركة الكشفية في المملكة العربية السعودية
تصوير : شيخ امين

المدير العام : فيصل محمد البسام المدير المسؤول : عبدالله صالح جمعة
رئيس التحرير : منصور مدني المحرر المساعد : عوني ابو كشك

في علم العروض .. نقد واقتراح

بقلم الاستاذ عبد الهادي الفضلي

لم يعد علم العروض الذي وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠هـ–١٧٥هـ) قادرا – اليوم – على تأدية مهمته في مجال التعليم والتربية ، وذلك لما فيه من تعقيدات جعلته لا يقوى أن يساير مناهج الدرس الحديث .

ويعود هذا التعقيد–فيما أقدر–الى أن الخليل واضع علم العروض– وهو عبقرية رياضية قليلة الند اعتمد على طريقته الرياضية التي اعتمدها في وضعه كتاب «العين» – الذي هو أول معجم لغوي عربي – حيث أحصى عن طريق الاستنتاج العقلي كل ما يمكن أن يتألف من الحروف المجائية من كلمات ثم فرز صيغ المهملات وتركها مهملات ، واستقرأ مفردات الهيئات المستعملة في كلام العرب ونصوصهم الأدبية .

وهنا – في علم العروض – أحصى عن طريق الاستنتاج العقلي أيضا ، كل التفعيلات التي يمكن أن يتألف منها بيت الشعر العربي ، ثم صنفها الى مجموعات وطوائف تنتظمها وفق نظام رياضي خاص ، وسمّى تلكم المجموعات بالدوائر ، ثم مشى طريقته في المعجم اللغوي في الفرز فالاهمال والاستعمال ، فعرّف بالتفعيلة المهملة وبالتفعيلة المستعملة وبالبحور المهملة والبحور المستعملة ، ثم صنّف البحور المستعملة التي لها شواهد من شعر العرب وفق منهج رياضي أيضا ينظمها في سلك وحدات : منفردة وممتزجة ، وبسيطة ومركبة .

وهو بهذا « أراد أن يبين أن أوزان الشعر بينها رابطة تجمعها ، وأن كل مجموعة من الأوزان يمكن حصرها في دائرة معينة ، وأن الدائرة الواحدة يمكن أن يتفرع عنها من الأوزان ما هو مستعمل قد حصرت قواعده وما هو مهمل لم يوقع العرب عليه اشعارهم لأنه ليس سائغا عندهم » (١) .

ودوائر الخليل التي ضمت بحور الشعر العربي هي خمس : دائرة المختلف وتضم البحور التالية : الطويل والمديد والبسيط وهي من المستعملات والمستطيل والممتد وهما مهملان ، ودائرة المؤتلف وتضم : البحور الثلاثة التالية : الوافر والكامل وهما مستعملان والمتوفر وهو مهمل ، ودائرة المجتلب ويؤلفها بحور ثلاثة أيضا هي : الهزج والرجز والرمل وكلها مستعملة ، ودائرة المشتبه : وتتألف من البحور الآتية : المنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث والسريع وهي من الأبحر المستعملة والمطرد والمتئد والمنسرد وهي من الأبحر المهملة ، ودائرة المتفق وتضم بحرين مستعملين هما : المتقارب والمتدارك (٢) .

وقد اتبع الخليل في توزيعه البحور على دوائرها طريقة الأوتاد والاسباب اللذين سيأتي التعريف بهما ، واللذين يعتمدان على توزيع الحركات والسكنات في تفعيلات البحور التي هي وحداتها القياسية وعناصرها الأساسية التي تتقوم بها .

وتستطيع أن تدرك ذلك من أسماء الدوائر حيث لوحظ فيها هيئات التفاعيل فكانت مختلفة ومؤتلفة ومجتلبة ومشتبهة ومتفقة .

ومنه نستطيع أن ندرك المنهج الرياضي الذي اتبعه الخليل في وضعه وتدوينه علم العروض حيث نظر الحركة والسكون وتوزيعها على التفعيلة ، ونظر التفعيلة من حيث مقاطعها التي سماها بالأسباب والأوتاد ، والفواصل ، ومن حيث عدد تلكم المقاطع وعدد حروفها ، ونظر البيت من حيث نوعية وكمية تفعيلاته ، ثم نظر حصيلة ما انتهت اليه احصائية الاستنتاجية من أبيات قابلة لأن تتألف من التفعيلات التي انتهت اليها احصائيته الاستنتاجية السابقة لها فصنفها الى بحور ، والبحور الى دوائر .

ويبدو لي : أن الخليل انما سار هذا المنهج لأنه أقدر على الاستيفاء والوقوف على كل المحتملات والمفروضات ثم استخلاص الواقع منها وقواعده .. وهي من طرق المنطق اليوناني الصوري وتقوم على أساس الاستنتاج فالاستقراء لجزئيات الموضوع .

---

(١) العروض والقافية للدكتور عبد الرحمن السيد . (٢) للمزيد من التفصيل في معرفة الدوائر العروضية راجع : العروض والقافية للدكتور عبد الرحمن السيد .

والطريقة المنطقية هذه – في حدود ما تعرفت عليه من دراستي وتدريسي للمنطق – مجالها القضايا الفكرية العقلية ، أو – بتعبير أوضح – قضايا الميتافيزيقيا ، أما القضايا المحسوسة بذواتها وأعيانها لا بآثارها كالقضايا اللغوية ، فطريقتها : جمع المادة عن طريق الاستقراء ثم استخلاص النتائج من أنظمة وقواعد وما اليهما .

ولعل التعقيد في علم العروض الذي أشرت اليه جاء من هنا ، وهو اخضاعه للطريقة الاستنتاجية العقلية لا الطريقة الاستقرائية النقلية .

فلو أن الخليل لم يلتزم الطريقة الاستنتاجية العقلية لما كان ملزما بأن يفترض أن عروض السريع – مثلا – (مفعولات) وهي مطوية مكشوفة دائما فتتحول الى (فاعلن) ، ولكان يقول – لو سلك الطريقة الاستقرائية النقلية – ان عروض السريع (فاعلن) لورودها في شعر العرب هكذا .

ومتى حاولنا أن نلتمس المبرر لصنع الخليل هذا ، نجده الجو العلمي الذي ساد عصره . فقد عاش الخليل عصر الفيلسوف العربي الكندي ، وقيل أن الخليل من تلامذته (٣) ، وعصر الحركة التي اعتمدت المناهج اليونانية في المناقشة وبخاصة مناهج الجدل والمغالطة في المنطق اليوناني والتي قاومها أمثال الامام جعفر الصادق ، وقيل أن الخليل من تلامذته أيضا (٤) .

ولعل لحركة الترجمة التي بدأت في العصر الأموي وبلغت أوجها في العصر العباسي أثرا كبيرا في ذلك .

والجو العلمي ذو أثر فعال في صوغ الذهنية العلمية من جانب وسبب مبرر من جانب آخر .

والخليل بمسايرته هذه لمناهج عصره كشف لنا في وضعه علم العروض بهذه الصيغة الفنية عن عقلية فذة في التفكير الانساني حتى عد من أذكى العرب .

غير أننا ونحن نعيش عصرا لم يعد قادرا على هضم مثل هذا المنهج الاستنتاجي العقلي الذي اعتمده الخليل في وضعه علم العروض لما فيه من مسائل وقضايا لا ترتبط من قريب أو بعيد بوزن الشعر الذي وصل الينا من العرب – كما سأشير اليه – لا بد لنا من معاودة النظر في مادة هذا العلم ومحاولة استبعاد هذه المسائل والقضايا ليعود علم العروض متمشيا والمناهج الدراسية الحديثة .

ولأن المادة مجموعة ومتوفرة أمامنا ، فانه ليس أمامنا الا تطبيق المنهج الاستقرائي النقلي ، أو كما يعبر عنه حديثا بـ (المنهج الوصفي) .

وقد قامت عدة محاولات لتيسير هذا العلم ، وهي بدورها تكشف لنا عن الشعور بالمفارقة المنهجية فيه .. ومن أهمها :

- محاولة الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه (موسيقى الشعر) .
- محاولة الدكتور عبد الرحمن السيد في كتابه (العروض والقافية – دراسة ونقد) .
- محاولة السيدة نازك الملائكة في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) .
- محاولة السيد مصطفى جمال الدين في كتابه (الايقاع في الشعر العربي)

وتنقسم ملاحظات واقتراحات تلكم المحاولات الى دراستين ، استهدفت أولاهما معالجة موضوع عدد البحور الشعرية فحاولت الهبوط به الى مستوى أقل ، واستهدفت ثانيتهما معالجة المصطلحات العروضية ومحاولة تقليص نطاقها الى مساحة أضيق . وانصبت الدراسة الأولى على جانبين هما :

– الغاء بعض البحور على أساس اهمال العرب القدامى لها حيث لم ينظموا عليها أو نظموا عليها بقلة ، وهي : المضارع والمقتضب والمتدارك .

– تداخل بعض البحور مع أخرى على أساس التقارب والتشابه بينها في التفعيلات هيئة وعددا ، كما في الكامل والرجز للاختلاف اليسير بينهما الذي يتمثل في حركة الحرف الثاني في التفعيلة (متفاعلن – مستفعلن) ، وكذلك في غيرهما .

ويبدو لي أن اهمال فكرة الالغاء في البحور أيسر من الأخذ بها ، لأن تزايد عدد الأبحر يهيء أمام الشاعر مجالا أوسع ، وبخاصة وانها من الأوزان القديمة ، ودليل ذلك عدم اهمال الخليل للمضارع والمقتضب مع قيامه بعملية الفرز بين البحور المهملة والبحور المستعملة . وقلة النظم عليها لا يسوغ لنا اهمالها ما دامت تحتفظ باصالتها وقدمها ، وتدارك الأخفش البحر المتدارك دليل قدمه أيضا ، وما قلنا في قلة النظم على مثليه المضارع والمقتضب نقوله فيه .

كما يبدو لي ان فكرة التداخل أمر غير عملي هنا ، ذلك ان التداخل يؤدي بنا الى اهمال دراسات ظواهر شعرية قائمة تفرض قاعدتها فرضاً ، ولنأخذ مثالا الكامل والرجز ، ان وجود (متفاعلن) التفعيلة المتحركة الثاني في كل بيت من أبيات قصيدة الكامل وعدم وجودها في أي بيت من قصيدة الرجز يفترض التفرقة بينهما وعدهما بحرين مختلفين .

نعم ، يأتي هذا التداخل مقبولا من ناحية منهجية متى وقفنا في شعر العرب على خلط بين البحرين في القصيدة الواحدة بحيث نجد التفعيلة المشار اليها في أعلاه مذكورة في بيت وغير مذكورة في آخر ومن قصيدة واحدة ، وهو ما لم أقف عليه شخصيا في قراءتي للشعر القديم ، وما لم يشر اليه علماء العروض ، وبخاصة من المتأخرين الذين قاموا بهذه المحاولات القيمة الجادة .

وهناك تجربة مماثلة قامت على أساس من فكرة التداخل الا أنها في علم النحو ، رادها بعض اساتذتنا بجامعة بغداد ، ووضع منهج نحوي كامل على ضوئها وتبنت وزارة التربية العراقية تطبيقه في مدارسها الابتدائية والثانوية مدة ثلاث سنوات – فيما أتذكر – وذلك في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات ، ومن نتائج حلوله كأمثلة فقط : اعتبار الفاعل ونائبه والمبتدأ مسندا اليه واعتبار المفعولات والحال والتمييز تكملة وهكذا .

وكانت النتيجة العودة الى المنهج النحوي القديم . وسببه أن المشكلة النحوية الدراسية – فيما وقفت عليه أنا وزملائي وكنت يومها مدرسا ثانويا – انتقلت الى مشكلة وجود علمي نحو : قديم وحديث ، ومشكلة التفرقة من حيث المعنى بين الفاعل ونائبه وبين المفعول والحال وهكذا .

فالذي يخشى مما يترتب على عملية تداخل البحور أو الغاء بعضها مع وجود أمثلة لها في شعر العرب أن تكون المشكلة مشكلة النحو الاسنادي المشار اليه في أعلاه .

فالذي أقدمه كاقتراح متواضع هنا : أن ننقل محاولاتنا في معالجة عقدة الدرس العروضي الى التفعيلة وأقسامها وأحكامها ، وهو الجانب الثاني من الدراسة . وبغية أن نتبين بوضوح واقع المشكلة وأبعادها وواقع حلولها علينا – فيما أخال – أن ننطلق من تعريف التفعيلة :

يعرف العروضيون الأقدمون التفعيلة مكتفين – فيما أخال – بتعريف أجزائها من أسباب وأوتاد وفواصل وبتعداد وعرض مفرداتها الوزنية ، غير أننا نستطيع أن نعرفها بالوحدة الأساسية في بناء بيت الشعر ، مستخلصين هذا التعريف من واقعها في عالم الشعر .

---

(٣) راجع : التنبيه على حدوث التصحيف للأصفهاني . (٤) راجع : رياض العلماء (مخطوط) لعبد الله الأفندي .

وتتألف التفعيلة العروضية الوزنية من الحروف التي تتألف منها التفعيلة الصرفية الوزنية ، وهي : الفاء والعين واللام باضافة سبعة من حروف الزيادة الصرفية (سألتمونيها) وذلك باسقاط الهمزة والهاء واللام المكررة فانها غير موجودة في التفعيلة العروضية ، واعتبار الجميع حروفا أصولا وهو الفارق الآخر بين التفعيلة في علم العروض والتفعيلة في علم الصرف .

وتجمع حروف التفعيلة العروضية العشرة جملة (لمعت سيوفنا) ، وتعرف هذه الحروف بـ (أحرف التقطيع) لتقطيع كلمات البيت الشعري الى مقاطع على أساس من متحركاتها وسواكنها بمقابلة المتحرك في الموزون بالمتحرك في الوزن وبمقابلة الساكن بالساكن .

والتفاعيل التي تتألف من هذه الأحرف العشرة في علم العروض عشر هي : فعولن . مفاعيلن . مفاعلتن . فاع لاتن . فاعلن . فاعلاتن . مستفعلن . متفاعلن . مفعولات . مستفع لن . (٥)

وهنا ، اننا عندما نرجع الى علم العروض القائم على أساس من دوائر الخليل – التي ألمحت اليها في أعلاه – وننظر هذه التفعيلات العشر في ضوء الواقع الشعري واستعمالها في شعر العرب لنبقي ما لها حقيقة واقعية قائمة ونستبعد ما سواه . نرى أنها تنقسم الى ثلاثة أقسام هي :

- التفعيلات الفرضية أمثال (مستفع لن) في الخفيف والمجتث ، و (فاع لاتن) في المضارع وذلك لأنهما لا يختلفان عن (مستفعلن) الموصولة في البسيط والرجز والسريع ، و (فاعلاتن) الموصولة في الرمل الخفيف من حيث الايقاع والوزن .

وفي ضوئه لا مبرر لوجودهما في اطار هذا العلم الا ليسير تصنيف البحور على النظام الذي افترضه الخليل لا غير . و (مفعولات) في المنسرح لأنها مطوية دائما فتحول الى (مفتعلن) ، وأقول دائما لأن ما ذكر من مجيئها صحيحة وعلى ندرة في مثل قوله :

ان ابن زيد لا زال مستعملا للخير ينشي في مصره العرفا

باد عليه الصنع والوضع كما نص بعضهم على ذلك وذهب الى أن عروض المنسرح لا تستعمل الا مطوية (٦) .

وفي السريع لأنها مطوية مكشوفة دائما فتحول الى (فاعلن) ، واذا قدر لمفعولات ان رأت الوجود في المنسرح في مثل البيت المتقدم فانها في السريع لم يقدر لها الوجود مطلقا .

وعليه لا سبب في ذكرهما في علم العروض الا ما أخذه الخليل على نفسه من نظام الدوائر ، ومن هنا يعود ذكرهما مثقلا للعلم بلا مبرر من واقع عملي ، ويعود حذفهما اولى ، ويستعاض عنهما بـ (مفتعلن) في المنسرح و بـ (فاعلن) في السريع .

- التفاعيل المقدرة مثل (فاعلن) الثانية في البحر المديد فـ « قد ذكروا بحسب دوائرهم أن أجزاءه : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن (مرتين) . قالوا : ولكنه لم يستعمل الا مجزوءا أي محذوف العروض والضرب (فاعلن) فتصير أجزاؤه : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن (مرتين) . وتكون فاعلاتن في آخر الشطر الأول هي عروضه ، وفي آخر الشطر الثاني هي ضربه» (٧). فانت ترى – هنا – أن المبرر هو نظام الدوائر ، اذ لا واقع لهذا المديد التام في استعمال العرب« ولعله من الخير أن نهمل هذا الأصل الذي ذكروه وأن نكتفي بالوزن المسموع عن العرب المأثور في شعرهم »، كما يقول الدكتور عبد الرحمن السيد .

- وثالث أقسام التفاعيل هي التفعيلات الواقعية ، وهي التي لها واقع في شعر العرب والتي ينبغي أن يقوم الدرس العروضي على أساس منها .

وقسموا التفعيلة الى أجزاء أطلقوا عليها أسماء : الأسباب والأوتاد والفواصل . وقسموا الأسباب الى سبب خفيف وهو ما تألف من حرفين أولهما متحرك وثانيهما ساكن نحو (كم) ، والى ثقيل وهو ما تألف من حرفين متحركين نحو (أر) .

وقسموا الأوتاد الى وتد مجموع وهو ما تألف من ثلاثة أحرف : متحركين بعدهما ساكن نحو (على) : والى وتد مفروق وهو ما تألف من ثلاثة أحرف : متحركين بينهما ساكن نحو (ظهر) .

وقسموا الفواصل الى فاصلة صغرى وهي ما تألفت من أربعة أحرف : ثلاثة متحركة بعدها ساكن نحو (جبل) ، والى فاصلة كبرى وهي ما تألفت من خمسة أحرف أربعة متحركة بعدها ساكن نحو (سمكة) وجمعوها في مجموع الأمثلة المذكورة وهو قولك (لم أر على ظهر جبل سمكة) .

اننا عندما نتعرف على نظام هذه الأجزاء أو المصطلحات نراه يقوم على أساس من مبدأ الحركة والسكون فـ (فعولن) – مثلا – مؤلفة من وتد مجموع وهو (فعو) ، وسبب خفيف وهو (لن) لأنها مؤلفة من متحركين فساكن ، فمتحرك فساكن ، وهكذا بقية التفعيلات .

وعلى أساس منه : فبدل أن نثقل الدرس العروضي بالاكثار من المصطلحات التي يمكن الاستعاضة عنها بما هو أخف وأقرب الى طبيعة المعرفة والى طبيعة النطق والى طبيعة التيسير أيضا ، وهو أن نعتبر نظام التفعيلة قائما – مباشرة – على أساس الحركة والسكون دونها توسط تلكم المصطلحات ، فبدل أن نقول أن (فعولن) مؤلفة من وتد مجموع وهو (فعو) وسبب خفيف وهو (لن) ، نقول هي مؤلفة من متحركين فساكن فمتحرك فساكن ، وذلك لأن الطالب يستطيع أن يدرك هذا بمجرد قراءة أو سماع التفعيلة ، أما في نظام الوتد والسبب فهو بحاجة الى أن يستحضر تعريف ومثال الوتد وكذلك السبب ثم يقوم بعملية التطبيق .

يضاف اليه : أن نظام الأجزاء هذه لا يماشي الطالب في مجال التطبيق العروضي وهو (التقطيع) بمقدار ما يماشيه نظام الحركة والسكون ، وقد لا يماشيه نظام الأجزاء بعد دراسته في المقدمة العروضية اطلاقا .

وذكر العروضيون أن للتفعيلة عوارض سموها بـ (الزحافات) و (العلل) . والزحاف هو تغيير ثواني الأسباب باسكان متحرك أو حذفه أو حذف ساكن ، وقسموه الى زحافات مفردة ، هي : الاضمار والوقص والخبن والطي والقبض والعقل والعصب والكف ، والى زحافات مزدوجة (أو مركبة) وهي : الخبل والخزل والشكل والنقص . وتجد تعريفاتها في جميع كتب العروض ، ولمعرفة توزيعها على تفعيلاتها راجع (نقطة الدائرة) لليازجي .

وقسموها الى زحافات متغيرة وهي التي قد تدخل تفعيلة الحشو وقد لا تدخلها كقبض (فعولن) الأولى في البحر الطويل . والى ملتزمة وهي التي تدخل تفعيلة الحشو وتلازمها وهي :

- القبض في (فعولن ← فعولُ) الواقعة قبل ضرب الطويل الثالث .
- الطي في (مفعولاتُ ← فاعلاتُ) في المنسرح .
- الكف في (مفاعيلن ← مفاعيلُ) في المضارع .
- الكف في (فاعلاتن ← فاعلاتُ) في المقتضب .
- الخبن في (فاعلن ← فعلن) في المتدارك .

ان العامل الوحيد في فرض هذه الزحافات الملتزمة المذكورة في أعلاه وتصنيف تفاعيلها الى أصول وهي غير المزحوفة ، وفروع وهي المزحوفة هو نظام الدوائر لا غير .

---

(٥) راجع : ميزان الذهب – المقدمة الثانية . (٦) و (٧) العروض والقافية للدكتور السيد .

وبما أن هذه الأصول لا وجود لها في الواقع الشعري المستعمل عند العرب يأتي ادراجها في منهج الدرس العروضي واعتبارها زحفت فتحولت الى الفروع شيئا ثقيلا بلا مسوغ عملي لذلك، فمن النافع أن تحذف وتعد التفاعيل الفروع اصولا وتلغى زحافاتها الموهومة.

أمّا العلل فهي تغيير يدخل الأسباب والأوتاد ويختص بتفعيلات الأعاريض والضروب ويلازمها. وقد توفرت جميع كتب العروض على ذكرها تعريفا وتقسيما وعدّا وهي اثنتا عشرة علة. ومثالها: قبض عروض الطويل (مفاعيلن ← مفاعلن). وما تقدم من قول في الزحافات الملتزمة لأنها ملتزمة يأتي هنا حرفيا لأنها ملتزمة أيضا.

وفي ضوئه: اننا عندما نعد التفاعيل الفروع أصولا ملغين الأصول وعللها نستطيع أن نتخلص من اثني عشر مصطلحا مثقلة للدرس العروضي بلا مبرر عملي. أضيف اليه عاملا آخر من عوامل ثقل العلل في الدرس العروضي هو ما يلاحظه الطالب من كثرتها وكثرة مواضع ورودها على التفعيلات مما يثير الاستغراب أن يقام على أساس من القلة قاعدة ويعد الأكثر استثناء وخروجا عليها، فمجموع الأوزان الصحيحة والمعلولة للبحور الستة عشر كما وردت في الكتب التالية هي ما يلي:

الكتاب	الصحيحة	المعلولة	المجموع
ميزان الذهب	١٤	٤٦	٦٠
نقطة الدائرة	١٣	٣٧	٥٠
العروض والقافية	١٥	٥١	٦٦

فاننا نجد النسبة في الأول والأخير منهما دون الثلث وفي الثاني منهما فوق الثلث بقليل جدا.

ولأجل الاشارة الى ظاهرة التغير غير اللازم في حشو البيت أرى أن نقسم التفعيلات الى ثابتة ومتغيرة.

ونصطلح بالثابتة على تفاعيل الأعاريض والضروب صحيحة ومعلولة ومزحوفة. على أن تذكر في المنهج بهيئاتها مع الاشارة الى مواضع استعمالها.

ونصطلح بالمتغيرة على التفعيلات التي يعرض لها التغير غير اللازم، وهي لا تأتي الا في الحشو، على أن تذكر في المنهج بهيئاتها التي ذكرها العروضيون، وأن تسمى تغييراتها وعوارضها بنفس الأسماء العروضية للزحافات، وهي في حدود ما انتهيت اليه خمسة فقط، هي:

- الاضمار: وهو تسكين الحرف الثاني المتحرك. ويأتي في المواضع التالية: (متفاعلن ← مستفعلن) في الكامل. (فعِلن ← فعْلن) في المتدارك.
- العصب: وهو تسكين الحرف الخامس المتحرك، ويأتي في الموضع التالي: (مفاعلتن ← مفاعيلن) في الوافر.
- الخبن: وهو حذف الحرف الثاني الساكن، ويأتي في المواضع التالية: (فاعلاتن ← فعلاتن) في المديد والخفيف والمجتث. (فاعلن ← فعلن) في البسيط.
  (مستفعلن ← مفاعلن) في المنسرح والرجز والسريع والخفيف والمجتث والتفعيلة الأولى من البسيط.
- الطي: وهو حذف الحرف الرابع الساكن، ويأتي في الموضع التالي: (مستفعلن ← مفتعلن) في الرجز والسريع والمنسرح.
- الكف: وهو حذف الحرف السابع الساكن. ويأتي في الموضع التالي: (مفاعيلن ← مفاعيلُ) في الهزج.

وفي ضوء ما تقدم تأتي التفعيلات العروضية — وكلها أصول لا فروع فيها — كما يلي:
فعلْ. فعِلن. فعْلن. فعولُ. فعولن. فاعلن. فاعلان. مفاعلن. مفاعيلُ. فعلاتن. مفعولن. فاعلاتُ. مفتعلن. مفاعيلن. مستفعلن. مفاعلتن. متفاعلن. فاعلاتن. فاعلاتان. متفاعلان. متفاعلاتن.
ومجموعها احدى وعشرون تفعيلة.

وفي ضوء معرفتنا للمتغيرات منها — مما تقدم في أعلاه — نستطيع أن نعرف الثوابت منها.

وهناك مصطلحات أخرى قامت على أساس من توزيع البحور على دوائر الخليل — كما تقدم بيانه في أوله — وعلى عدد التفاعيل أمثال: الانفراد والاختلاط والبساطة والتركيب، المعروفة بصفات البحور.

ولأنها قائمة على أساس نظام الدوائر وعلى عدد التفاعيل تعود الفائدة التطبيقية من دراستها مفقودة، اذ لا أثر لها بعد ما تقدم من مقترحات كما لا أثر لها في التطبيقات العروضية.

أما تنظيم منهج البحور فيأتي على أساس ما قدمته هكذا:

الطويل:

أوزانه ثلاثة هي:

- فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
- فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن
- فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن   فعولن مفاعيلن فعولْ فعولن

عوارضه:

يعرض لفعولن في حشوه القبض، فتصير (فعولُ).

وهكذا سائر البحور الأخرى.

ونخلص من كل هذا الى النتائج التالية:

— الغاء نظام الأسباب والأوتاد والفواصل، والاستعاضة عنه بنظام الحركة والسكون.

— الغاء مصطلحات صفات البحور.

— الغاء مصطلحات العلل جميعها والزحافات الملتزمة جميعها، والاستعاضة عنها بضبط التفاعيل بهيئاتها التطبيقية.

— الغاء مبدأ التأصيل والتفريع في التفاعيل، واعتبار جميع التفعيلات في البيت أصولا.

— تقسيم التفاعيل الى ثابتة، وهي: الأعاريض والضروب والمزحوفات بالزحافات الملتزمة في الحشو، والى متغيرة وهي تفعيلات الحشو المزحوفة بالزحافات غير الملتزمة.

— حصر مصطلحات الزحافات بالمتغيرات التطبيقية والاحتفاظ لها بأسمائها وهي: الاضمار والعصب والخبن والطي والكف، مع ذكر مواضيعها.

وأخيرا، فما هذه الا محاولة متواضعة رائدة أفدت فيها كثيرا من تجارب الأساتذة السابقين الذين ذكرتهم في مقالي هذا، راجيا أن تتكامل هذه التجربة مع تجاربهم وتجارب الآخرين منهية الى منهج عروضي ميسر، وأن أفيد من ملاحظات الزملاء والمعنيين ما يصوب من أخطائها ■

عبد الهادي الفضلي
جامعة الملك عبد العزيز — جدة



للشاعر محمد علي السنوسي

من صميم الحياة أرتشف الشعر　　　وفي كأسها أصبّ الرّحيقا
وعلى نورها أسير وان كان　　　طريقي عواصفا وحريقا
لست أستهول الضباب وان　　　كان كثيفا وان تبدّى عميقا
قبس من (هُدىً) يضيء بجنبيّ ويزداد في الظلام بريقا

* * *

يا خليلي (الدّينُ) نور القلوب　　　وطبيب الحياة أيّ طبيب
لا تدع للأسى الى قلبك الشفاف　　　دربا ولا تلنْ للخطوب
كم رأينا وكم سمعنا فدع قلبك يرتاح من عناء عجيب
ودع (الفلسفات) واستلهم الايمان وانضح به جفاف النضوب

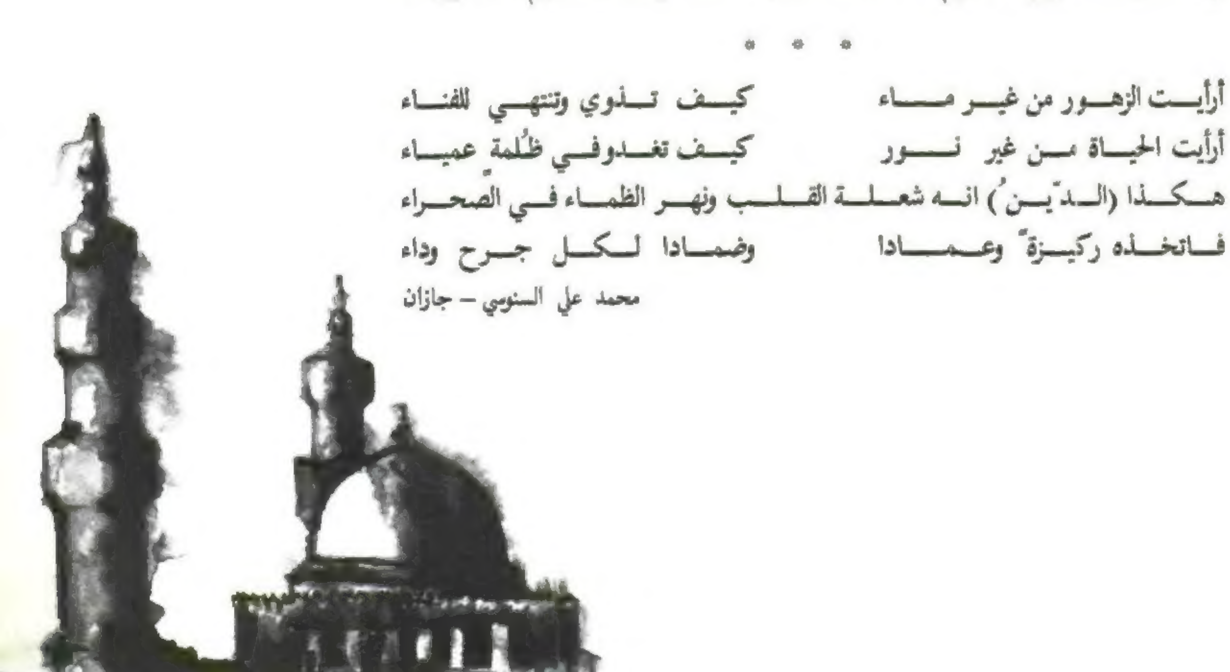
* * *

رُبّ يوم رأيت فيه الأماني　　　حلوةَ المجتنى تسيل عذوبة
فتأملتها وكنت طريقي　　　نحوها سهلةٌ وكانت قريبة
غير أني صددت والحرُّ يأبى　　　شرب كاس بها الدنايا مشوبة
والصّدى للنفوس أكرم ان عامت بأقداحها جسوم غريبة

* * *

أرأيت الزهور من غير ماء　　　كيف تذوي وتنتهي للفناء
أرأيت الحياة من غير نور　　　كيف تغدوفي ظُلمةٍ عمياء
هكذا (الدّينُ) انه شعلة القلب ونهر الظماء في الصحراء
فاتخذه ركيزةً وعمادا　　　وضمادا لكل جرح وداء

محمد علي السنوسي – جازان



كتاب «صور الكواكب الثمانية والأربعين»

للفلكي الشهير أبي الحسين عبد الرحمن ابن عمر الرازي المعروف بالصوفي ، وأرجوزة «ابن الصوفي» حول أسماء النجوم ومواقعها

بقلم الاستاذ نقولا شاهين

مر العالم الاسلامي بعصر ازدهرت فيه العلوم والمعارف وبلغت أوج عزها ومجدها . وقد كان خلفاء الدولة الاسلامية في مقدمة العاملين على نشر العلم والحفاظ عليه . وها هو العالم اليوم يقطف ثمار ثقافة كان منبتها عربياً، فمرت بها العصور وكرت فأصبحت ثقافة عالمية يفيد منها بنو البشر كافة على اختلاف مشاربهم وجنسياتهم .

مولد المؤلف ومنشؤه

ولد أبو الحسين عبد الرحمن الصوفي ، مؤلف هذا الكتاب الفريد ، في الرابع عشر من محرم عام ٢٩١هـ الموافق ٨ نوفمبر عام ٩٠٣م في الري ، وهي من مدن العراق العجمي ، وسكن في شيراز وفي بغداد في عصر عضد الدولة ، وهو الثاني من سلاطين الدولة البويهية التي زهت في الفترة الواقعة بين عامي (٩٣٢) و(١٠٥٦) الميلاديين ، وكانت وفاته في الثالث عشر من محرم عام ٣٧٦هـ الموافق ٩٨٦م. وقد ظهر في ذلك العصر «عضد الدولة» و «شرف الدولة» من سلاطين الدولة البويهية ، وشغفا بالعلوم وحثا الناس على السعي وراءها والاشتغال بها ، وجمعا العلماء للتعاون على تحقيق الأعمال الفلكية ورصدها والتدقيق بها ، فبنيا مرصدا في القصر الملكي نفسه .

تتلمذ عضد الدولة على أبي الحسين الصوفي ، وكان يفتخر به ويكن له كل احترام واجلال وتقدير . وقد ورد في كتاب «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» لابن القفطي ما يلي : «وكان عضد الدولة اذا افتخر بالعلم والمعلمين يقول ، معلمي في النحو أبو علي الفارس النسوي ، ومعلمي في حل الزيج الشريف بن الأعلم ، ومعلمي في الكواكب الثابتة وأماكنها وسيرها الصوفي» ... وقال أبوالفرج المؤرخ : «.. وكان عبد الرحمن بن عمر بن سهل أبو الحسين الصوفي الرازي فاضلا نبيها نبيلا» .

نشأ الصوفي في عصر بلغ فيه التعطش للعلم أشده . ففي القرن الثاني للهجرة ، شرع «أبو جعفر المنصور» الخليفة العباسي الثاني باحياء العلوم في مملكته ، بعد أن عهد الى لفيف من العلماء والمترجمين بترجمة كتب هندية وسريانية ويونانية ونقلها الى العربية ، وسار على خطاه الخلفاء من بعده لا سيما «هرون الرشيد» وابنه «المأمون» . وقد فاق هذا الأخير سابقيه بغيرته على العلوم وأهلها . وكان المترجمون والعلماء في ذلك العهد ينعمون بالرعاية والعناية والحصانة ، ويتمتعون بما كان يغدق عليهم من العطايا . وعندما تغلب المأمون على الامبراطور البيزنطي «ميخائيل الثاني» ، كان من بنود الصلح بينهما أن يقدم هذا الامبراطور ما لديه من المخطوطات اليونانية ، أو أن يسمح بترجمتها .

وهكذا نقل العلماء العرب معظم المؤلفات والكتب الفلكية التي خلفتها الأمم الغابرة الى لغتهم ، وفي مقدمتها كتاب «المجسطي» لبطليموس ، الذي كان يحتوي على خلاصة ما أنتجه اليونان في هذا العلم . وكانت أول ترجمة للعلوم الفلكية في أيام الخليفة هرون الرشيد ، ثم عقبها ترجمات أخرى على يد «حنين بن اسحق» وابنه «اسحق بن حنين» ، وكان الفضل في تحقيق الترجمة الأخيرة يعود الى «ثابت بن قرة» . ولم يكتف العلماء العرب بترجمة الكتب الفلكية ، بل صححوا الكثير منها وزادوا عليها ، وذلك عن طريق مراصد تعمل بآلات من صنعهم ، ظلت لقرون طويلة قوام المراصد الفلكية .



الحَمَلُ وَهُوَ أوّلُ البُرُوج

فلنذكر الآن على التدريج ... كواكبا من صور البروج
أولها الكبش الذي هو الحمل ... يبدو من الأفق اذا الغفر أفل
كأنها التابع يقفو أثره ... نجومه ثلاثة وعشرة
يتبعها نجم عظيم الجرم ... تجعله "برجيس" شكل الخطم
يتلوه نجم من نجوم الحمل ... ضياؤه دون ضياء الأول
تعرفها بالشرطين العرب ... وأنور الاثنين قد يلقب
بناطح ومنهم من يلحق ... نجما على القرنين منه يشرق
بالشرّطين يسميهما اذن ... بالنطح والاشراط أيضا فاعلمن
وقد تسمى لا نورين منها ... فاعلم بانسانين واحكْ عنهما
يتبعهن أنجم البطين ... ثلاثة يفتن حسّ العين
خفيّة هي على بطن الحمل ... كأنها مستترات من خجل
وفوقهن أنجم صغيرة ... يخرجن عن أنجم هذي الصورة
ويدعين رجل الغول عند العرب ... وهن من برشاوش بالجنب

وقد كانت الأزياج القيمة الدقيقة ، مرجعا لعلماء الفلك الى زمن ليس ببعيد . والزيج عند العرب ، كما جاء في مقدمة ابن خلدون ، هو نتيجة صناعة حسابية تقوم على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ، وما أدى اليه برهان الهيئة في وضعه ، من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك من أمور ، تعرف بها مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت فرض . ولا يخفى على أحد ما لهذه الصناعة من قوانين في معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية وأصول متقررة في معرفة الأوج والحضيض والميل ، وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض، توضع في جداول مرتبة ، وهي ما يسمى بالأزياج . وللعرب جداول دقيقة لبعض النجوم الثوابت ، ومن أبرزها وأدقها المؤلف الذي وضعه « الصوفي » ، وهو يحتوي على خرائط مصورة لأكثر من ألف نجم ، ورسوم لكوكبات في صورة الأناسي والحيوان .

مكانة الكتاب في الأوساط الفلكية

يعد كتاب الصوفي أحد كتب ثلاثة فريدة في رصد النجوم خلال العصور الوسطى كانت في دورها ، تعتبر أهم المراجع في علم الفلك في العصور المتعاقبة . أما الكتابان الآخران فهما « زيج بن يونس » في القرن الحادي عشر ، و« زيج أولوغ بيك » في القرن الخامس عشر . ولا شك بأن الصوفي في كتابه هذا ، قد تفوق على بطليموس في كتابه « المجسطي » ، اذ أنه صحح الكثير من أطوال وعروض عدد كبير من الكواكب الثابتة كما جاء في ذلك الكتاب .

وقد أشار الصوفي في كتابه هذا الى نسخ كثيرة من كتاب « المجسطي »،اذ وجد بعضها يخالف بعضا في كواكب كثيرة ، وفي احدى تلك النسخ تبين له اسقاط كل كوكب فيه أدنى خلاف بين النسخ . فلم يكن هناك ذكر لكواكب كثيرة من القدر الثالث والرابع ، بينما ظهرت أسماء كثيرة من القدر الخامس والسادس . ومن خلال دراسات دقيقة ، تبين للصوفي أن معظم تلك الأخطاء يعود الى اعتماد بعض الفلكيين على كرات مصورة ، وضعها أناس لم يعرفوا الكواكب بأعيانها ، وانما عولوا على ما وجدوه في الكتب من أطوالها وعروضها فرسموها على الكرة دون أن يتبينوا مدى صوابها من خطئها . وعندما يتأملها من هو ملم بها يجد بعضها مخالفا لوضعها في كبد السماء أو على ما هو موجود في الأزياج .

والدليل على صحة أوضاع ما جاء في كتاب « صور الكواكب » ، هو أن عددا من الفلكيين البارزين ، كالبيروني ، والفونسو العاشر أمير «كاستيل» ، وناصر الدين الطوسي ، وأولغ بيك وغيرهم ، بنوا أزياجهم على هذاالمرجع الثقة .

وفي سنة ١٨٧٤ ميلادية ، نشر « شيلرب » ، الفلكي الدانماركي ، ترجمة بالافرنسية لكتابين عربيين من كتب الصوفي ، أحدهما في المكتبة الملكية في كوبنهاغن ، والثاني في بطرسبرغ « روسيا » . وقد اعترف « شيلرب » في



العقرب

وبعده تأتي نجوم العقرب — كواكب مضيئة بالغيهب
يعرفها الأعراب طرا والعجم — هن نجوم كشهاب يضطرم
يعلوه نور باهر وحمرة — كأنه اذا استنار جمرة
لقبه الأعراب قلب العقرب — يجيء في أشعارهم والخطب
يتبعه نجم ويتلو نجما — كلاهما ذو رونق يسمى
لدى الأعاريب لياطا فاعلم — يتبعه نجم صغير مظلم
يقدم نجما مشرقا منحوسا — بينهما شبر اذا ما قيسا
خبرني من لا أردّ قوله — انهما يسميان شوله
يجعلها الروم وأهل الخبرة — من صورة العقرب شكل الابرة
والقلب مع نجم منير لامع — تعرفه العرب بنسر واقع
معا بهرارين قد يعرفان — في أكثر الأحياء والبلدان
وقد ذكرنا قبل حال الجبهة — ملخصا فلم نغادر شبهه



الجبار

تتبعها كواكب الجبار — وهي التي تعرف في الأمصار
وربما سمي بالجوزاء — كواكب تشرق في الظلماء
كواكبُ منيعة مشهورة — خلالهن أنجم صغيرة
خبرني من لم يدن بالبين — بانها والنجم كالنجمين
منها نجوم سميت في البقعة — ثلاثة قد لقبت بالهقعه
ما ان ترى مثل لهن في السما — يتبعن في مطلعهن أنجما
منظومة من هذه الكواكب — تعرف بالتاج وبالذوائب
يطلعن عند النجم ذي البريق — وهو الذي يعرف بالعيّوق
يتبعها الناجذ وهو المرزم — نجم بهير نوره مستعظم
وتحته كواكب منيرة — يحسبن من أنجم هذي الصورة
ثلاثة هن على اتساق — تعرف بالنظم وبالنطاق
وبالباقر قد تسميها العرب — يدلكم بذكرها أهل الكتب
وقد يسمين معا بالمنطقه — تتبعها كواكب متّسعه
مضيآت هن سيف الجبار — يعرفها باللفظ أهل الأخبار



الدُبّ الأصغَر

أقربُهنّ فاعلمنّ للقطب — كواكب هنّ على صورة دبّ
هن اذا أحصيتهنّ سبعه — رسّمن والقطب معا في بقعه
في جملة الصورة كوكبان — مقدار ما بينهما شبران
سمتهما العرب بفرقدين — ترى دوين أنور الاثنين
كويكب أخفى من الرسم امّحى — تدعوه أعراب الفلا فأس الرحى
نعم ونجم تعرف القبلة به — هو من الدب فويق ذنبه
يعرف بالجدي عند العُرب — من كان بالبعد ومن بالقرب
مداره مقارب للقطب — وهذه الأنجم عند العرب
تعرف أيضا ببنات نعش — يوجدها الفرد القديم المنشي

مقدمته لهذه الترجمة بتفوق الصوفي على فلكيي العصور الوسطى ، وبمطابقة مقاييسه عن ما جاء في أزياج « ارجلندر » و « هيس » ، ولو خالفت مقاييس المجسطي . وقد نشر أحد المطلعين مقالا في مجلة انكليزية عن كتاب الصوفي جاء فيه : « ان الصوفي بنى كتابه عن الكواكب الثابتة على كتاب بطليموس ، وانه لم يكتف بما جاء فيه ، بل رصد النجوم نجما نجما . وعين أقدارها بدقة تثير الاعجاب ، مكتفيا عند البحث في أماكنها باصلاحها بالنسبة الى مبادرة الاعتدالين » . ومن هنا كان ، ولا يزال ، لكتاب فائدة عظمى في الاستدلال على تفسير أقدار النجوم من عصر بطليموس ، وهبرخس الى عصر الصوفي ثم الى العصر الحاضر .

ولا بد من الاشارة هنا الى أن الصوفي كان أول فلكي أدرك وراقب تغير ألوان النجوم وأقدارها وتحركاتها . كما راقب النجوم المتغيرة ذات الدورات الطويلة ، وسديم المرأة المسلسلة ، والأبراج الجنوبية التي نسبت خطأ لفلكيي العصر الحاضر . ومن ناحية أخرى ، كان للصوفي المام واسع في صنع الأدوات والآلات الفلكية ، وبفضل هذا تم التطور في الكرة الفلكية والذي بدأ من أيام بطليموس ، وهناك كرة فضية من هذ النوع منسوبة للصوفي ، وجدت في القاهرة عام ١٠٣٤ ميلادية ، وقد صنعت ليستعملها عضد الدولة . وهناك اليوم العديد من الكريات السماوية العربية يرجع عهدها الى الفترة الواقعة بين القرن الحادي عشر والقرن الثامن عشر . وهي تبين مراكز النجوم وأقدارها كما جاء في كتاب الصوفي . ويقول « شيلرب » أن الوحدات التي استعملها الصوفي أتت بنتائج مرضية للغاية بالرغم من كونها بدائية. أما هذه الوحدات فهي كما يلي:

رمح = ١٤ درجة

ذراع = $\frac{١}{٦}$ رمح = درجتين و ٢٠ دقيقة

شبر = $\frac{١}{٣}$ ذراع

أصبع = $\frac{١}{٢٤}$ ذراع

وينسب الى الصوفي حذقه في زيادة اتقان تصميم جهاز الاسطرلاب الذي كان شائعا في قياس ارتفاع الأجرام السماوية ، كما أنه توصل الى تسطيح الكرة السماوية ، ووضع النجوم على السطح الاستوائي . وعلى عنكبوت ذلك الجهاز كانت هناك أسماء بأبرز النجوم ، وقد ذكر منها الصوفي ٣٧ نجما ، وقد كانت مراكزها معينة بموجب اعتدال عام ٣٦٠ هجرية (٩٧٠ ميلادية) . ومن هذه المجموعة ١١ نجما من القدر الأول ، و ١٣ نجما من القدر الثاني ، و ١٢ نجما من القدر الثالث ، ونجم واحد من القدر الرابع .

طبعة الكتاب الأولى

ترجم هذا الكتاب الى اللغات اللاتينية والافرنسية والفارسية ، ويوجد في الاسبانية من الدراسات ما يمكننا اعتباره كترجمة . لكن النص العربي لم يحظ بطبعة شاملة متقنة حتى تظهر ما كان يتحلى به الصوفي من براعة في مراقباته ودراساته التي احتلت مكان الصدارة بين الأبحاث والدراسات الفلكية الأخرى قبل أواسط القرن العشرين ، وذلك بفضل مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند .

وقد بنيت هذه الطبعة على خمسة عكوس أخذت عن نسخ قديمة من كتاب « صور الكواكب » . الأول منها عكس عن نسخة من مكتبة « توبقابو سراي » في استانبول ، والثاني عن نسخة من مكتبة « الفاتيكان » في روما ، والثالث عن نسخة من مكتبة برلين في « جامعة توبنجن » ، والرابع عن نسخة « الغ بيك » في المكتبة الأهلية بباريس ، والخامس عن نسخة من المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن — الهند . ولما كانت نسخة « الغ بيك » أكثر النسخ صحة وكتابة وصورا ، فقد أخذت أساسا للمتن مع الاشارة الى ما جاء في النسخ الأخرى عند الاقتضاء .

مما تقدم ، يظهر لنا عظيم اهتمام المراجع العلمية في البلدان المختلفة بهذا الكتاب الغني الفريد . والجدير بالذكر أن مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد قد أدى خدمة جليلة للتراث العلمي العربي بتحقيقه طبعة شاملة أنيقة لهذا الكتاب الذي يجدر بكل مكتبة ، وعلى الأخص في الأوساط الثقافية العربية ، أن تقتنيه سفرا قيما بين رفوفها .

هذا وتحتوي النسخة الأصلية العربية لكتاب الصوفي على ٣٥٣ صفحة مطبوعة ، مزودة بـ ٩٦ رسما ملونا تبين وضع ٤٨ برجا كما تبدو في السماء وعلى الكرة . ويرافق رسم كل برج شرح واف لوضع كل نجم في البرج وعلاقته بالنجوم الأخرى ، مع جدول لكل برج يبين مقدار وموقع كل نجم بالدرجات والدقائق ، مع الاشارة الى ما يجب زيادته على ما جاء في كتاب « المجسطي » . أما عدد هـذه النجوم المرصودة فهو ألف وعشرون نجما .

وعندما نلقي نظرة على أرجوزة « ابن الصوفي » وهو ابن مؤلف الكتاب الذي نحن بصدده نجدها قد حوت أسماء هذه المجموعة من النجوم مع تعليق على كل نجم من حيث مركزه ، وما عرف عنه في الأوساط الشعبية والأساطير . ان الأراجيز كثيرة في اللغة العربية ، ولا سيما في العلوم المختلفة من صرف ونحو ، أو في سرد أحداث رافقت نمو القبائل العربية . وقد وضعت الأراجيز لتصوغ الأخبار التاريخية والعلوم المختلفة في قالب يسهل حفظه وترديده . والأراجيز تنفرد بها اللغة العربية ، كما أعلم ، وهذا دليل على مرونة هذه اللغة الثرة التي حملت العلوم والمعارف الى الغرب وقت أن كان العالم يغط في سبات ويعمه في ضلال ■

نقولا شاهين — بيروت

مشكلات الطلاب وعلاقتها بالإرشاد والتوجيه التربوي

بقلم الدكتور يوسف القاضي

تعترض سبيل الطلاب مشكلات وتحديات لا بد لهم من مواجهتها ومحاولة حلها . ومساعدتهم في ايجاد حلول نافعة لهذه المشكلات أمر مرغوب فيه ، تقوم فيه المدرسة والادارة بنصيب وافر وملحوظ . وتنحدر هذه المشكلات من مشكلات دراسية ، تتعلق باختيار المادة الدراسية واستيعابها وفهمها أو اختيار احدى التخصصات أو الكليات المعروفة ، الى مشكلات اجتماعية أو وظيفية تتعلق بعملهم وتعاونهم مع بقية أفراد المجتمع الذي يعيشون فيه . ونتيجة للتغيير المستمر الذي يطرأ على العالم ، فقد تعددت الكليات والاختصاصات والوظائف والأعمال ، وتعددت المشكلات التي تواجه مجتمعاتنا في الوقت الحاضر ، وأصبح وقت المدرس أو مدير المدرسة أقصر من أن يغطي احتياجات الطلاب فنشأ تدريجيا قسم الارشاد والتوجيه التربوي الذي يعتبر جزءا لا يتجزأ من المدرسة ، ليقدم خدماته للطلاب وللمجتمع في ميادين كثيرة ونشاطات متنوعة .

فماذا نعني بالارشاد والتوجيه التربوي ؟

من بين التعاريف التي يعرف بها الارشاد والتوجيه التربوي أنه ذلك العون الذي يقدمه الموجه التربوي لشخص هو في حاجة اليه ليتمكن من اختيار اختصاص أو القيام بنشاط معين ، وليطور أو يعدل من خطة عمله أو دراسته ، أو ليتمكن من مواجهة مشكلاته النابعة من صميم حياته اليومية . وهدف التوجيه والارشاد التربوي هو مساعدة من هو بحاجة للمساعدة ليكون أقدر على تحمل المسئولية الملقاة على عاتقه . كما أن التوجيه والارشاد ليعتبران من الخدمات العامة التي لا ينحصر نشاطها في المدرسة أو العائلة فقط ، بل يتعداهما الى جميع نواحي الحياة التي تشمل البيت والعمل ، والصناعة ، ودوائر العمل والمستشفيات والنواحي الاجتماعية ، فهو موجود حيث يوجد أناس هم في حاجة الى مساعدة ، وحيث يوجد أشخاص قادرون على تقديم ذلك العون.

ويعتبر التوجيه والارشاد التربوي جزءا لا يتجزأ من العملية التربوية، ومع أنه لا يستغنى عنه في سن الطفولة والمراهقة والشباب ، حيث يكون تأثيره أنفع وأعم ، الا أن بعض الناس قد يحتاجونه مدى حياتهم . وعلى هذا فان مسئولية التوجيه والارشاد تقع على عاتق البيت والمدرسة . ومن هنا ينبغي على كل عضو من هيئة التدريس أن يساعد ويتفهم ويهتم بتوجيه التلاميذ الذين هم تحت اشرافه ، فهم بذلك يتممون عمل الموجهين التربويين الذين يساعدون الآباء والأبناء في حل مشكلاتهم والتنبه لها . والتوجيه والارشاد على أنواع . كذلك التربية فانها متعددة الأنواع والأشكال . فتارة تكون التربية تقريرية ، وتارة أخرى تكون تقديرية معيارية ، وتارة هي رسمية وأحيانا غير رسمية ، وربما كانت اجبارية أو اختيارية ، مقصودة أو غير مقصودة ؛ كذلك يتفرع التوجيه والارشاد الى أنواع ، عديدة ، منها ما يلي :

- معياري، ويهدف الى تكوين المواطن الصالح
- مقصود ، ويقدم حسب خطة معينة لأسباب معروفة .
- اختياري ، ويقدم حسب الحاجة اليه وحسب الاختيار .
- منزلي ، ويقتصر تقديمه على المنزل .
- مهني .
- معهدي ، ويرتبط بأحد المعاهد أو المدارس .
- غير معهدي ، ويتم عادة في المجتمع ، ويكون أقرب ما يكون للتوجيه والارشاد الحر في بيئة مألوفة ، ومن أناس معروفين ، تربطهم ببعضهم البعض روابط قوية .

ومن مميزات هذا النوع : أنه أوسع مدى ومجالا ، وأكثر مرونة ، وأبلغ تأثيرا .

وستتناول في هذا المجال بحث التوجيه والارشاد المدرسي بقدر ما يسمح لنا المجال بذلك .

[illegible]

هو ذلك النوع من التوجيه والارشاد الذي يقدم لطلاب المدارس في المراحل المختلفة ؛ ويقوم به فريق من الاختصاصيين في التوجيه وعلم النفس وعلم الاجتماع ، وفريق من المدرسين . ويتصف بالمرونة والاستمرار ، ولا يقتصر على فئة معينة من الطلاب الذين يعانون من مشكلة من المشكلات التربوية أو المدرسية ، بل يشمل جميع الطلاب دون استثناء . والحكمة في ذلك ، تكمن في مساعدة الطلاب منذ البداية ، في اختيار الاتجاه الذي يميلون اليه والاختصاص الذي يرغبونه ، وعدم ترك هذه الأمور لمجرد الصدفة التي كثيرا ما أدت الى بعثرة الجهود المبذولة وضياعها .

والاستمرار هو صفة من صفات التوجيه والارشاد التربوي ، فبالاضافة الى الشمول فان الاستمرار يعني مواصلة التوجيه والارشاد خلال المراحل المدرسية المختلفة ؛ ابتداء من المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الجامعية . والسبب في ذلك يرجع الى كوننا نعيش في عالم متطور لا يثبت على حال ، كما أن الأطفال يمرون بمراحل مختلفة

من مراحل النمو الذي يصاحبه تغير في العادات والتفكير والسلوك ، ونتيجة لهذا التغير ، تعترضهم مشكلات وتحديات لا بد لهم من مواجهتها وايجاد الحلول الناجعة لها ، واتخاذ القرارات الحاسمة الكفيلة بتقرير نوع دراستهم واختصاصهم . فكلما كان الطالب مطلعا على التغيرات التي تجري في مجتمعه ، كان أقدر ، باذن الله ، على اتخاذ القرار الحكيم الذي يؤوب عليه وعلى أمته بالخير والأزدهار .

والسؤال الذي يتبادر الى أذهاننا الآن هو : من ذا الذي يساعد الطلاب في اتخاذ القرارات ومواجهة التحديات التي تواجههم ؟

الجواب على ذلك هو أن النصيحة والتوجيه المقدمين من طرف واحد غير كافيين عادة ، لأن المام ذلك الطرف بالمعلومات والخبرات اللازمة للتوجيه محدودة . فاذا أردنا أن نساعد الطالب ، فانه من المستحسن أن يلم الطالب بجميع نواحي المشكلات التي تعترض سبيله حتى يتمكن من اتخاذ قرار ناجح ، ويتم ذلك عادة بمساعدة أناس متخصصين في مختلف نواحي الحياة أمثال : المدرس ، والموجه التربوي ، والموجه الاجتماعي ، والموجه الصحي ، ومدير المدرسة .

بقي علينا أن نعرف أن خدمات التوجيه والارشاد التربوي من الممكن أن تقدم للطلاب فرادى ، كل على حدة ، أو على شكل مجموعات صغيرة .

التوجيه والارشاد في المدرسة الابتدائية

لقد أشرنا فيما تقدم الى أن التوجيه هو جزء لا يتجزأ من منهج التربية . واذا أردنا أن يكون فعالا ، فيجب أن يكون مستمرا ، فيبدأ مع دخول الطفل الى المدرسة ويستمر حتى ينتهي من دراسته .

ويرتكز التوجيه في المدرسة الابتدائية على فكرة النمو والتطور المستمر ، مع تأكيد أهمية الوقاية والتمتع بالقدرة على التفكير وحل المشكلات ، ويعتبر المدرس حجر الزاوية في عملية التوجيه والارشاد في المدرسة الابتدائية . ولكن الاهتمام المتزايد للاستفادة من القوى البشرية وتنظيمها دعا الى قيام نوع من التوجيه المنظم الذي يوحد جهود المدرسين والمتخصصين في التوجيه .

ومن الأهداف الرئيسية للارشاد والتوجيه في المدرسة الابتدائية ، المساعدة على اعداد ظروف مواتية للتعلم . وعلى هذا فان التخطيط القائم على حاجات الطلاب المعروفة ، وميولهم ومشاربهم المختلفة ، يمكن تحقيقه اذا تضافرت جهود القائمين على عملية التربية والتوجيه ، وقام كل واحد منهم بالدور المخصص له . والتعاون بين المدرس والموجه من الأمور الضرورية في المدرسة الابتدائية ، فالمدرس بحكم عمله واتصاله المستمر بالطلاب يعرف الكثير عنهم ، ويمكنه ارشادهم ضمن الامكانات المتوفرة لديه ، ويتوقف ذلك على مدى تفهمه وتخصصه لعمله ، وعلى الوقت المتاح له للقيام بهذا العمل واستعداده الشخصي لتقديمه .

والموجه التربوي يعتبر عضوا دائما من أعضاء هيئة التدريس في المدرسة الابتدائية ، فهو مسئول عن وظائف التوجيه التربوي التي لا يجد المدرس وقتا لممارستها ، أو أنه غير متخصص فيها . ومن الأمور التي تدخل ضمن اختصاصاته ، توجيه الطلاب وذويهم ، وخاصة أولئك الذين لديهم ميول وحاجات خاصة ، كما أن الموجه التربوي يساعد المدرسين في جمع المعلومات المفيدة وفي التعرف الى أفضل الطرق للوصول اليها . وهو أيضا يساعد في اعداد التقارير التي تتضمن المعلومات المتعلقة باستعداد التلميذ وميوله وصحته العامة وتقدمه ، وما اليها من أمور . كما أنه يشارك المدرسين في اعداد الاختبارات واظهار النتائج وتطوير المناهج المدرسية عن طريق المتابعة واجراء الأبحاث والدراسات .

وعلى هذا ، فان التوجيه التربوي يعتبر عملا مشتركا تتضافر فيه الجهود التي يشترك في القيام بها جميع الأعضاء العاملين في المدرسة الابتدائية ومن ضمنهم مدير المدرسة ، والمدرسون ، والموجه التربوي ، والموجه الصحي ، والموجه النفسي . ويختلف التوجيه في المدرسة الابتدائية عنه في المدرسة الثانوية من حيث الأهمية التي تعطى لمستويات النمو عند الطلاب في المدارس الابتدائية . ومع أن الأهداف واحدة في كلتا المرحلتين ، الا أن طريقة العمل للوصول الى تلك الأهداف يجب أن تكون مرتبطة بحاجات الطلاب وميولهم ، وهذه تختلف عند طلاب المدرسة الابتدائية ، وعلى هذا كان من ضمن التوصيات التي تتعلق باعداد الموجه التربوي للمدارس الابتدائية ما يلي :

- تزويده بالمعلومات التي تتعلق بتنظيم المدرسة الابتدائية واعداد مناهجها والفلسفة التربوية والاجتماعية التي تقوم عليها .
- تفهمه للنواحي النفسية في نمو الطفل وتطوره ، وهذا يتضمن مراحل النمو المتعاقبة عند الأطفال وخصائص كل مرحلة منها ، والنظريات التي تتعلق بشخصية الطفل وبالتعلم .
- تخصصه في التوجيه والارشاد المتعلق بالمدرسة الابتدائية وهذا يتضمن ، نظريات التوجيه والارشاد ، وطرق التوجيه الجماعية ، ووضع برامج الخدمات التوجيهية والارشاد وتنفيذها ، وعمليات الاستشارة وتفهم الآخرين ، ونظرية التطور المهني ، وخاصة المتعلقة بالمدرسة الابتدائية ، ثم اكتساب المهارات اللازمة لاجراء الأبحاث والدراسات اللازمة .

التوجيه والارشاد في المدرسة الثانوية

مهما كانت فعالية التوجيه والارشاد في المدرسة الابتدائية فانه لا يستطيع التوصل الى حل جميع المشكلات التي تظهر عادة في المدرسة الثانوية . لهذا فان المرحلتين ، المتوسطة والثانوية ، تعتبران من مراحل التحدي للموجه والمرشد التربوي. فمن الواضح أن الفروق الفردية بين طلاب المدارس المتوسطة والثانوية من حيث طول الطالب وقصره ، وزيادة وزنه ، ونضوجه والمميزات الاجتماعية والانفعالية ، انما هي فروق ملحوظة لا يمكن تجاهلها . فمعظم الطلاب في هذه المرحلة يكونون قد بلغوا سن البلوغ والنضوج أو قاربوه . ومع هذا فان هناك تفاوتا في درجات النضوج بين طلاب الفصل الواحد ، مما يجعل مشكلاتهم مختلفة ومنوعة بالنسبة للفصل كمجموعة . أما بالنسبة للطالب ذاته ، فان هناك عوامل عدة تتنازعه ، فبينما يظهر أحيانا في مظهر الشاب الناضج البالغ في بعض الأمور والتصرفات ، نراه يتصرف تصرف الأطفال في أمور غيرها ، من هنا تنشأ عدة تيارات ونزعات مختلفة تجتذبه من كل ناحية ، كما تنشأ لديه معظم المشكلات التي يواجهها . ومن هذه المشكلات ما هو متعلق بالدراسة ومتابعتها ، أو ما هو متعلق باختيار اختصاص ما ، أو وظيفة ما أو ما شابهها . كما أن كثيرا من المشكلات تتعلق بالانتظام المدرسي والحياة الاجتماعية . لذا كان دور الموجه التربوي كبيراً في هذه المرحلة أيضا ، حيث أن مستقبل الفرد يعتمد الى حد كبير على حسن توجيه الموجه التربوي . وعلى هذا كان من ضمن البرامج المقترحة لاعداد الموجه الثانوي ما يلي :

- الالمام بالفلسفة والأسس التوجيهية وغيرها من الخدمات الطلابية .
- الالمام بالتطور المهني ، والعلاقات المهنية .
- الالمام بالمعلومات التي تتعلق بالوظيفة والتربية.
- الالمام بنظرية التوجيه وتطبيقها .
- الالمام بطرق البحث والاحصاء .

- الالمام بطرق التوجيه الجماعي .
- طرق قياس الخصائص الانسانية .
- النواحي الادارية والتعاونية في التوجيه.
- اكتساب الخبرة في الاشراف والتوجيه .

وقبل الانتقال الى موضوع الارشاد والتوجيه التربوي في الكليات والجامعات ، يجدر بنا أن نذكر بعض المشكلات التي تواجه طلاب المدرسة الثانوية ، ومنها :

- المشكلات التي تتعلق بالنمو الجسمي والتغيير الذي يطرأ على الجسم .

من الخدمات التي يقدمها المرشد والموجه التربوي ، الخدمة التي تتعلق بارشاد الطلاب الى أفضل السبل للمحافظة على نشاطهم وحيويتهم ، وذلك بمساعدة القسم الصحي والرياضي . كما أن المرشد النفسي يساعد في التخفيف من القلق النفسي ومواجهته ، ذلك القلق الذي ينشأ في الغالب من التغييرات التي تطرأ على نمو الطالب في مثل هذه السن .

- المشكلات التي تتعلق بالاعتماد على النفس ، والنزوع الى الاستقلال عن الوالدين حيث يلعب الارشاد والتوجيه التربوي دورا حاسما في مساعدة الطلاب لايجاد المخارج السليمة لمشكلاتهم التي تنبع من هذه المرحلة الحرجة ، لأن الآباء في هذه المرحلة ، ينظرون اليهم على أنهم لا زالوا بحاجة الى رعايتهم وتوجيههم وحمايتهم ، بينما يرفض الأبناء هذه الحماية وينزعون الى الاستقلال في تصرفاتهم .
- المشكلات التي تنبع من الدراسة والتعلّم .

ان تضافر الجهود المبذولة من قبل الموجهين والمرشدين والمدرسين والادارة هو أمر ضروري لانجاح العملية التربوية . كما أن التوصل الى معرفة درجة الذكاء عند الطالب وقابلياته وميوله هي من الأمور الحاسمة عند وضع المناهج الدراسية . وكذلك فان معرفة هذه الأمور تفسح المجال أمام الموجه والمرشد الى تنمية مواهب الطالب وقدراته ، وذلك عن طريق مساعدته في ازالة العقبات من أمامه ومساعدته على الاستمرار في تقدمه ونجاحه . كما أن تحليل الصعوبات التي تنجم عادة عن طريقة الدراسة والمطالعة ، وفهم المادة ، ومن ثم تقديم النصح في ذلك ، كل ذلك يدخل ضمن مهام المرشد والموجه التربوي التي تؤثر في كثير من الأحيان على نجاح الطالب أو رسوبه .

- مشكلات اختيار الاختصاص والمناهج الدراسية .

من أعمال المرشد والموجه التربوي مساعدة الطالب على اختيار اختصاصه الذي يميل اليه ، والمناهج التي تناسب مقدرته وميوله ، كما أن من واجبه تقديم المناهج الدراسية من حيث ملاءمتها للطلاب ، وتقديم النتائج للادارة لتكون بمثابة نقطة الانطلاق لاعادة النظر في المناهج المدرسية والتدريس بصورة عامة .

- المشكلات التربوية التي تواجه الطالب الموهوب والطالب المتخلف .

يتوصل الموجه والمرشد التربوي ، عن طريق الاختبارات المتنوعة ودراسة التقارير المتعلقة بسير الطلاب في المدرسة والمقابلات الشخصية ، الى معرفة الطلاب الموهوبين والطلاب المتخلفين ، ومن ثم تتعاون الادارة في ايجاد برامج مناسبة للفئتين المذكورتين من الطلاب . وكلما كان التعرف الى هؤلاء الطلاب أسرع ، كان المجال لمساعدتهم أوسع .

هذه بعض المشكلات التي يتعرض لها الطالب في المدرسة الثانوية ، وبقي علينا أن نعرف . الآن ، بعض الشيء عن التوجيه والارشاد في الكليات والجامعات .

التوجيه والارشاد في الكليات والجامعات

التوجيه والارشاد في الكليات والجامعات هو امتداد لمثيله في المدارس الثانوية ، الا أنه يتميز عنه ببعض الأمور التي تتعلق بايجاد الوظائف المناسبة ، أو الانتقال من اختصاص الى اختصاص (وهذا يعني في الغالب الانتقال من كلية الى أخرى في الجامعة نفسها أو خارجها) ، كما أنه يهتم بالأمور المالية للطلاب وكيفية توفيرها وتوفير المساعدات والمنح من الجهات المختلفة .

وفيما يلي بعض الخدمات التي تقدم للطلاب في هذه المرحلة :

- خدمات شئون الطلبة .

تقدم الجامعات والكليات الخدمات للطلاب بصورة عامة بحيث تستقطب معظم نشاطاتهم خارج الدوام على الأغلب .

- الخدمات الصحية .

تعتني الكليات والجامعات بالصحة العامة للطلاب وذلك عن طريق اجراء الفحوصات اللازمة والتطعيم ضد الأمراض المعدية . كما أنها تعتني بحالاتهم النفسية بحيث تقدم العلاج النفسي لمن هو في حاجة لذلك . ويحتفظ عادة بتقارير عن حالة الطلاب الصحية والنفسية . وهذه التقارير تساعد بدورها على البحث في حالات الطلاب الذين يعانون من صعوبات ومشكلات دراسية وغيرها .

- ايجاد مركز للتوجيه والتقييم لتقديم الخدمات التي تتعلق بتقييم الطلاب فيما يتعلق بنسبة الذكاء والتحصيل العلمي . والميول والاتجاهات والمهارات ، والقدرات . وتقدم هذه الخدمات الى جميع الطلاب في الجامعة على شكل مجموعات صغيرة ، أو بصورة افرادية للتلاميذ الذين يتقدمون تلقائيا للمركز ، أو للذين يُعرضون من قبل الأقسام المختلفة . ويتواجد في المركز المذكور عادة متخصصون في علم النفس ، ومحللون نفسيون . ومتخصصون في القياس النفسي لتقديم الخدمات في النواحي التربوية ، والمهنية ، والاجتماعية والشخصية وغيرها .
- العيادات المتخصصة في تصحيح النطق والقراءة والكتابة للطلاب الذين هم في حاجة الى هذا النوع من الخدمات ، من داخل الجامعة والمنطقة المحيطة بها .
- الخدمات الاجتماعية ، ويقوم بها متخصصون في علم الاجتماع لدراسة أحوال الأسرة والبيئة والبيت والعادات المتبعة في المجتمعات التي ينتمي اليها الطلاب الذين هم في حاجة الى توجيه وارشاد .
- الخدمات المالية ، ويقوم بها متخصص في تقديم النصح للحصول على المنح الدراسية ، والقروض المالية للطلاب الذين يعانون أثناء دراستهم من عجز مالي ربما أدى بهم الى ترك المدرسة .
- الخدمات الوظيفية . ويقدمها مركز متخصص في امكانات التوظيف حيث يقوم باستمرار بجمع المعلومات عن الوظائف المتوفرة وشروطها . كما يقدم التسهيلات للمقابلات الشخصية بين الطلاب وأرباب العمل والشركات والادارات والمدارس التي تحتاج الى موظفين .
- الخدمات التي تقدم للطلاب الأجانب وخاصة في الجامعات الكبيرة التي يؤمّها الطلاب من أقطار مختلفة .
- مكتب للاسكان لمساعدة الطلاب في توفير السكن والبيئة الصالحة للعيش فيها .

هذه بعض الخدمات التوجيهية والتربوية مع بعض حلول للمشكلات الدراسية والاجتماعية والنفسية التي تواجه الطلاب بين حين وآخر ، ومن مرحلة الى مرحلة ■

د. يوسف القاضي – الرياض

عَلى أُطلالِ تَدْمُر

للراحل الدكتور زكي المحاسني

أإلهامَ شعري ، هـذه اليوم تدمرُ   تقهقـه فيهـا الجنّ والريح تَصْفِرُ
أأعمـدةٌ يغزلْـنَ والـدهرُ خيطُها   فثوبُ البِلـى في وشيهـن مُحَبَّرُ
يـوشّحُهـا نبـعُ الصبـاح بمُطرَفٍ   ويشملهـا مـن مطلع الشمس مئـزَرُ
كغيـدٍ لبسن الأرجوانَ تَعِـلّـةً   ولـم يكفهـن الحسنُ والجسم أسمرُ
نسيم الصَّبـا من بينها هفّ ضحـوةً   وراح يناجينـي وقد رحـت أشعـرُ
ورفّـت علـى شجوي خواطرُ حلـوةٌ   نـدايـا كأنفاس الرياض تَنَـوَّرُ
وهـاج لـي البُلْبال طيفُ رأيتُـهُ   يفـوح بريّاه علـى الشعر عـنبـرُ
وسيلـةَ شِعري ، انتِ طوّفتِ تـدمراً   فمنـكِ على اطلالهـا هـبّ عبقـر
ورومـانُ تسعـى فـي ضجيجِ زحامها   الـى ملعبٍ والأسْدُ تـرغو وتَـزْأَرُ
أميّـادةَ الأقـراطِ فـي القوم أقبلتْ   يحُفّ بهـا زِنجٌ ويحرس عسكـرُ
ذكرتُكِ (جُلْيـا) إنّ « سيفيرَ » في الوغى   ومن أجل هذا الحُسْنِ في الحرب يُنْصَرُ (١)
وللحـبّ تيجـانٌ أعـزُّ مـن التـي   يُتَـوَّجُ فيها هامَـةَ المجدِ قيصرُ

* * *

كأنـي بـأفواف الحِسان رواقـصـاً   وقد رنّحَ الاقـدامَ في الرقص مِزْهَرُ
وقيثـارةٌ رنّتْ علـى مسرح الـهوى   فمـادَ لهـا في فتنة الليـلِ سُمَّرُ
فناغيتُ أحلامـي على صوتِ مـوكب   يَخُفّ الـى صَرْحٍ وحاديه يزمرُ
أحاجيبُ ، من يبدو على العرش بـاسماً   ومن حولـه القوّاد حشـدٌ مُسَـوَّرُ
أ « زينوبيـا » هذي ، فَـدَيْتُ بهاءها   أشَمْسـاً بدتْ والليلُ في الأفقِ مُقْمِرُ (٢)
دلفـتُ اليهـا والخيـالُ مُـروَّعٌ   ووهمـيَ في درب العُـلا يتعثّـرُ
سلاما علـى عينيكِ في وهـجِ صورةٍ   جماليـةَ الأوصـافِ تُسبي وتَبْهَرُ
أنفحـةَ رَيْحانٍ تديريـنَ منهـمـا   علـى الشعبِ أم نورٌ من الحسنِ يقطرُ
ملكتِ بعقـلٍ زاده الحسنُ قُـدرَةً   فـأنـتِ على الآبادِ ذِكـرٌ مُعَطّرُ

* * *

وقفت على أطـلالِ تدمرَ أجتلي   أساطيرَ مكتوباً بها الـدهر أسطرُ
فكَرّتْ علـى عينـي السّنون كأنّهـا   مواعظُ ترويهـا علـى الأرض أعصُرُ
بكيتُ علـى الانسانِ يفنـى وتَمّحـي   حضارتُـهُ والدّهرُ ماضٍ يُكَـرْكِرُ
فيـا أدب الأطلال هيّجـتَ خاطري   فدمعـي على آثارهـا اليومَ يهمرُ
ديـارُ الأحبّـا ما عفا بعدُ رسمُـهـا   وخوفي يعفـو رسمُهـا وأعمَـرُ (٣)
والقتلُ ما يلْقى المُحبّون في الـهـوى   ترحّلَ محبوبٍ وآخـرَ يَصْبـرُ
كَمِثْلِكَ عشنـا يا امرأ القيسِ نجتني   هوانـا ونأسى أن نرى الدارَ تُقْفِـرُ
أودِّعُ مغنـاكَ الحبيـب وانّنـي   علـى ذكركَ الفتّانِ أبكي وأحْصِرُ

---

(١) « جليا دمنا » كانت أميرة « تدمر » في العصر الروماني وقد تزوجت الامبراطور « سيبتيم سيڤير » الذي جعل من تدمر مدينة رومانية رائعة من أجل زوجته « جوليا دمنا ».
(٢) « زينوبيا » ملكة تدمر أصلها عربي واسمها فيه « الزبّاء » ، وكان زوجها « أذينة ».
(٣) رحم الله الشاعر (قدفنة الزيت) .





ظر ليلي لمعمل غاز البترول السائل في رأس تنورة،
المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .



أخصائية تتفحص حزمة من ألياف «فكترا – Vectra» المستخلصة من غاز البوليبروبلين ، أحد المشتقات البترولية ، وذلك قبيل مروره بمرحلة التجعيد والتمسك .

تتنامى كلمة «بترول» – أو الزيت – الى أسماع الغالبية من الناس . ترتسم في أذهانهم للوهلة الأولى صورة ذلك الوقود الذي يشمل أنواع البنزين . وزيوت التشحيم ، وبعبارة أخرى ، المحروقات ومواد التزييت .

وربما سيكون من الصعوبة بمكان تخيل العلاقة بين نسيج السجاد وقماش التنجيد والأثاث المنزلي من جهة ، وبين الزيت الخام من جهة أخرى . وبالرغم من ذلك ، فان الألياف المشتقة من «الزيت» الخام ، استطاعت خلال العقد المنصرم أن تنتزع الشهرة من مصانع النسيج الطبيعي الممثلة في الصوف والقطن وألياف «السليلوز – Cellulose» ، مثلها في ذلك مثل نسيج الحرير وألياف «الأسيتات – Acetate» .

ولو سأل سائل عن سبب هذه الشهرة لأجابه الخبراء المختصون في هذا الحقل بأن هناك أليافاً جديدة يجري تطويرها على شكل يسمح بتصنيع سجاد فاخر وجذاب ومتين بحيث يتمتع برواج كبير في الأسواق التجارية .

وعندما ظهرت الكنزات الصوفية وخراطيم المياه المصنوعة من النايلون وأمثالها على مسرح هذه الصناعة كانت تمثل وقتذاك أول جيل للألياف الاصطناعية ذات الحجم الكبير ، ثم انضم اليها فيما بعد عنصران آخران هما «متعدد الأملاح العضوية – Polyestes» و «أحماض الأكريليك – Acrylics» .

الا أنه عندما استنبطت الألياف الاصطناعية الجديدة والمستخرجة من غاز «البوليبروبيلين» فقد أخذت هذه الألياف تنتج على شكل واسع مما مكنها من الدخول في مزاحمة المنتجات التركيبية الأخرى التي تدخل في ميدان صنعة السجاد وقماش التنجيد والأثاث المنزلي . ومنافسته . .

وبعد أن شق هذا الصنف الجديد من الألياف الاصطناعية طريقه الى ميدان صناعة السجاد وميادين أخرى من الصناعات الرائدة ، فقد أخذت القدرة الانتاجية للمعامل المصنعة له ، والتي تمتلك حصيلة لا يستهان بها من هذا النوع ، تزداد يوما بعد يوم . وتختلف هذه القدرة من مصنع الى آخر باختلاف النوعية الناتجة عن المزيج ، ويتراوح الانتاج السنوي من هذه الألياف الاصطناعية ما بين ٢٠ و ٤٠ مليون رطل سنويا .

أما عملية اعداد هذه الألياف الاصطناعية المشتقة من البترول والتي تعرف باسم «فكترا – Vectra» تمر بمراحل معقدة قبل أن تصبح على شكل خيوط نسيج أو ألياف منقوشة ، وهي تعد على شكل كرات مطاطية ثم تؤخذ الى معامل أخرى، لاذابتها، وفي الوقت نفسه لمزجها



مجموعة من الأعمدة والأبراج التابعة

بمكثفات صمغية ومواد خاصة تثبتها وتجعلها متماسكة بواسطة الحرارة والضوء ، وذلك لاكسابها اللون المعين وفق المواصفات المطلوبة .

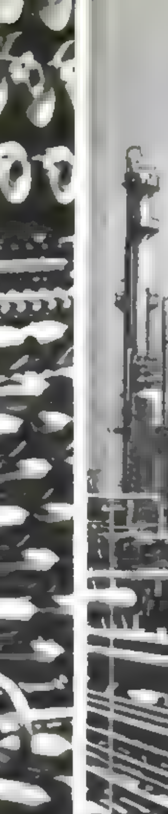
وهذه الخطوة التي تعرف بمرحلة « توصيل المركب — Compounding » يتم فيها اعطاء اللون النهائي للألياف واكسابها صفة الثبات والتماسك . وبعد ذلك ترسل الألياف الى جهاز للتبريد حيث تعد على شكل نسيج منقوش وتجمع في بالات وذلك تمهيدا لشحنها الى مصانع السجاد أو مصانع الغزل والنسيج .

وفي معامل الغزل والنسيج والسجاد ، تمر الألياف المنقوشة بعمليات أخرى ، اذ تعاد الى كرات مطاطية مرة أخرى بواسطة أجهزة التبريد والتهذيب ، ثم تذاب مرة ثانية لتصار الى ألياف تعرف بسداة النسيج ، وتختلف أحجامها باختلاف ثقوب المغازل المصنّعة لها .

مجموعة من الخيوط الليفية المنسوجة من صمغ « البوليبروبلين » عند خروجها من « المغزال — Spinnerette » بواسطة الضغط والحرارة .. وهي احدى المراحل الأساسية التي تمر بها صنعة الأنسجة الليفية الاصطناعية .



السائل ، وفيها تتم معالجة الغاز وتصنيعه .



الخيوط الليفية حيث يجري ثنيها وسحبها ثم لفها على بكرات خاصة لتصبح بعدها منتوجا جاهزا للتصنيع ..

وبعد هذه العملية تقوم أجهزة خاصة بصقلها وترطيبها ثم مطها لتكتسب قوة ومتانة ولتأخذ شكلها النهائي .

بعد هذه المرحلة تنتقل الألياف الى مرحلة أخرى حيث يجري تغضينها وتمويجها ، وذلك كي تكتسب خاصية ومرونة النسيج الطبيعي . وفي النهاية تحز هذه الألياف المتجعدة لتصبح جاهزة للنسيج ومن ثم للشحن .

ان السوق المستهلكة لهذه الألياف المصنوعة من « البوليبروبلين » هي مصانع السجاد ومصانع الغزل والنسيج ، التي تنتج كميات كبيرة من السجاد المستعمل في العمارات الضخمة والفنادق الكبيرة والمستشفيات . ويمتاز النسيج أو السجاد المصنوع من هذه المادة بمتانته وقوة احتماله ، بالاضافة الى مقاومته للبقع وعدم توليده للكهرباء الساكنة .

ان عملية اعطاء اللون منذ بداية اعداد هذه الألياف ، قد أكسبت السجاد المصنع منها مزايا مكنت من استخدامه داخل المباني وخارجها لمقاومته لتغير اللون ، وللتقلبات الجوية .

وتعتبر مصانع السجاد ، كما يلاحظ ، السوق الرئيسية المستهلكة للألياف المصنوعة من غاز « البوليبروبلين » . بيد أن هذه الألياف أخذت في الوقت الحاضر تنافس الحرير وغيره من أنواع النسيج في مجال صناعة قماش التنجيد والأثاث المنزلي ، اذ أن الطلب على هذا النوع من النسيج آخذ بالازدياد لدى المؤسسات المنتجة للأثاث المنزلي والتنجيد وخصوصا اذا ما علمنا أن قماش التنجيد والأثاث المنزلي من هذا النوع قد طغى على الأسواق لجمال منظره ومقاومته للبقع ، حتى غدا مألوفا لدى ربة البيت بقدر ما هو مألوف كذلك لدى صناع الأثاث المنزلي أنفسهم .

وبالاضافة الى ذلك ، غزا هذا النسيج ميادين صناعة الأقمشة المتعددة الأحجام والألوان ، كما أخذ يستخدم كمواد عازلة على حواف أبواب السيارات .

أوجه استعماله في مجال الزينة فما زالت محدودة في الوقت الحاضر ، وذلك لسيطرة النايلون وألياف « متعدد الأملاح العضوية » و « ألياف الأكريليك » على هذا الميدان . الا أن العلماء القائمين على صناعة هذه « الألياف الغازية الهيدروكربونية » المشتقة من البترول ما زالوا يعلقون عليها آمالا كبيرة ، لتصبح في المستقبل القريب في طليعة المنسوجات المستخدمة في صناعة الأقمشة والنسيج والسجاد والتنجيد وفي الأثاث نفسه ، وغير ذلك من المجالات الصناعية المرموقة ■

عبد الله حسين — الظهران

عن مجلة « بوليتن »



بقلم الدكتور جمال الدين الرمادي

مما يثلج القلب ويشعر بالعزة والمجد أن نجد ثقافتنا العربية ثقافة عالمية تحظى بتقدير العلماء وتكريم الباحثين في مشارق الأرض ومغاربها ، وقد عاشت الثقافة العربية ولا تزال تعيش في مكان كريم وموئل عظيم من اتجاهات الفكر العالمي. وقد عقد في وقت سابق في «تورينتو» في كندا مؤتمر لعلماء الشرق الأوسط حيث اشترك المؤتمرون في تقديم بحوث عن الثقافة العربية وما قدمه العلماء العرب من فضل على الحضارة العالمية .

وليس مؤتمر « تورينتو » هو المؤتمر الوحيد الذي أنصف العرب أو الثقافة العربية ، وانما هناك مؤتمرات عدة عقدت في القارة الأمريكية وأوروبا ردت الى العرب اعتبارهم وحفظت لهم أمجادهم العلمية الكبيرة .

وقد قام بعض المستشرقين باصدار مؤلفات عن الثقافة العربية والتراث العربي في شتى حقب التاريخ ، ومن أحدث الكتب التي صدرت في هذا الباب كتاب المستشرق « أربري » عن الشعر العربي الذي ترجم فيه اشعار « المتنبي » و « أبي تمام » الى اللغة الانجليزية مع ذكر الأصل العربي ، وقد أبدى « أربري » ، وهو أحد كبار المستشرقين البريطانيين ، اعجابه الشديد بشعر المتنبي ، ووقف لحظات طويلة أمام معانيه الرائعة ، وابتكاراته البارعة . ولم يقتصر اعجاب « أربري » على الشعر القديم ، وانما أصدر كتابا جديدا عن الشعر العربي الحديث ترجم فيه مجموعة من أشعار ايليا أبي ماضي ، وأحمد شوقي ، وخليل مطران ، وعلي محمود طه ، وبشارة الخوري ، وعبد الرحمن صدقي ، وغيرهم من أعلام الشعر في العصر الحديث . وقد جاءت ترجمته الى اللغة الانجليزية ترجمة خصبة حافلة تجمع بين السلاسة والعذوبة ، والرقة والجمال . ناهيك بما كتبه المستشرقون عن الشاعر العالمي « جبران خليل جبران » الذي ترجمت كتبه العربية الى اللغة الانجليزية على نطاق واسع ، وغدت تدرس الى جانب الاصول الانجليزية في الجامعات الأميركية . وقد أنتجت « هوليوود » فيلما عن حياة جبران خليل جبران اقتبسته من كتابه الشهير « الأجنحة المتكسرة » ، وقد ظفر هذا الفيلم بنجاح منقطع النظير في مختلف دور العرض في المدن الأمريكية .

وأصدر المستشرق « جوستاف فون جرينبوم » كتابا بعنوان « الاسلام الحديث » ذكر فيه منابع الثقافة العربية القديمة والحديثة ، وما أسداه العرب من أفضال على العلم والمعارف الانسانية ، وأوضح أثر العلامة ابن خلدون في فلسفته الاجتماعية التي وضعته في مصاف علماء الاجتماع العالميين ، حتى أصبحت كتبه مصدرا حيا من مصادر دراسة علم الاجتماع . كما أوضح أثر الجاحظ فيما ألفه من كتب حافلة مثل كتابي « الحيوان » و « البيان والتبيين » وغيرهما ، وما اشتهر به من سخرية لاذعة وفكاهة حلوة وملحة طريفة جعلت كتبه مهوى للقلوب والعقول جميعا . كما تناول أثر الثقافة العربية على أوروبا وأثر الفكر الغربي على الثقافة العربية ، ووقف وقفات طويلة مع اعلام الفكر الحديث أمثال: طه حسين وتوفيق الحكيم وأحمد أمين ، وصور مدى تأثر « الحكيم » بالثقافة الغربية وحرصه على التراث الشرقي في قصته المعروفة « عصفور من الشرق » .

ومن الطريف أننا نجد المعلقات السبع من أبرز الأعمال الأدبية لكبار المستشرقين الذين ترجموها الى شتى اللغات العالمية وعلقوا عليها ، ولعل « أربري» هو آخر هؤلاء العلماء الذين عكفوا على دراسة المعلقات وشرحها ونقدها .

وقد عد الاستاذ « نللينو » بعض الآثار الأدبية العالمية ، وكانت منها « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعري . والأستاذ « نللينو » من مشاهير المستشرقين الايطاليين ومن العلماء الذين درسوا الأدب والفلك ، وكان قد اشترك في

تأسيس الجامعة المصرية القديمة التي ألقى فيها محاضرات جليلة جذبت اليه أنظار العلماء حينذاك ، وعلى رأسهم طه حسين الذي أعجب به وتتلمذ عليه .

وقال الدكتور « جورج دلافيد » ، الأستاذ بجامعة بنسلفانيا : أن أبا العلاء ، وهو شاعر ضرير مثل « ملتون » و « هوميروس » يرى فيه العقل العربي ثمرة ما بلغته المدنية الاسلامية في ذروتها من النضج العقلي والنبوغ ، فهو رجل عربي في نشأته عالمي في أثره ، لأنه النموذج للنهضة الجديدة للحضارة العربية .

ويمكن أن تعتبر بعض شعر المتنبي عالميا ، ولا سيما في « حكمه الرائعة — Maxims » التي تصور « التجربـــة الشعورية العامـــة الكونية — Universal Experience » ، وهذا اللون من التجارب الشعورية يعد من أرقى أنواع التجارب الانسانية في الشعر عند كثير من النقاد مثل « لاسل أبركرومبي » في كتابه « الشعر ، موسيقاه ومعناه — Poetry, Its Music and Meaning »

وإننا لنجد عند « أبي تمام » صورا حافلة بالتشخيص ، أو ما يطلق عليه النقاد الغربيون « Personification » ، فنسمعـــه يتحدث الى الطبيعة كأنها شخص حي جمع الله فيه شتى الأحاسيس ومختلف المشاعر ، والربيع الطلق يبدو لديه كأنه شخص ينثر البسمات ذات اليمين وذات الشمال .

واذا كان للطبيعة شعر يتمثل في هدير الموج وتصفيق الزبد ، وأريج الزهر وتغريد الطير فان « ابن الرومي » استطاع أن يخرج كثيرا من الصور العالمية في هذا المضمار ، وروى بذلك غلة الناقد « وليم هازلت » الذي يجد في الطبيعة لونا من الشعر وضربا من النظم الرقيق .

واذا كان الشعر تصويرا للحياة والواقع ، كما يقول « كلاي — Clay » في كتابه « الناقد الانجليزي » ، فاننا نجد في الشعر العربي أشعارا تصور الواقع ، وتصور الحياة ، ولا تحفل بالتحقيق اللغوي أو التزويق اللفظي ، بل تحوي المعاني السامية التي تتناول واقع الحياة والتجارب الانسانية التي يحياها الانسان .

ونحن اذا ما انتقلنا من ميدان الأدب والشعر الى التاريخ وجدنا « كتب الطبري » تحظى باهتمام المستشرقين الى درجة كبيرة ، فقد عكف كبار العلماء مثل « مرجليوث » على دراستها . وكذلك تمتعت كتب « ابن الأثير » و « ابن هشام » باهتمام العلماء ، فاستخلصوا منها سيرة الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، كالسير « وليم مور » و « كارليل » .

ومن العجيب أن كثيرا من أسماء الفلاسفة العرب اتخذت أوضاعا أخرى في الكتب الأوروبية مثل « ابن سينا » و « ابن رشد » ، كما ظفر « الفارابي » و « ابراهيم بن سيار النظام » بأبحاث مستفيضة نقل بعضها الى اللغة العربية ، ونشر الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده جانبا منها باللغة العربية .

وان من يرجع الى تاريخ اللغة العربية يجد أن لغتنا هي احدى اللغات الأم ، وقد اشتقت منها لغات كثيرة ألفاظا عدة ، وقد تمكن الأب العلامة انستاس ماري الكرملي الى الوصول الى كثير من الحقائق عن اللغة العربية بعد كثير من أعمال الروية والبحث والتنقيب ، فكلمة « Habere » اللاتينية وبالفرنسية « Avoire » وبالانجليزية « To have » هي أصل عربي هو « هوى » ، وهي تعطي معنى « أملك » ، ويقول الأب « انستاس الكرملي » أما كيف اهتديت الى أصلها فكانت نتيجة حذف مؤخر الكلمة وهو دخيل عليها فبقي منها Habe ، Suffix ولما كانت الواو العربية في القديم تصور بالباء لم يكن لهم هاء برز لنا فعل « هوى » وهو معنى معنى الفعل اللاتيني .

أما الفعل الثاني فهو فعل « Esse » وبالفرنسية « Etre » وباليونانية ، الدورية والأيولية « Essi » أي أنت موجود . ويقول الأب الكرملي أنه مأخوذ من « ايس » العربية وقد جاء في تاج العروس « وائتني به من حيث أيس وليس أي من حيث هو ولا هو وكذلك قولهم : جيء به من أيس وليس أي من حيث هو ولا هو ، وكذلك قولهم جيء به من ايس وليس بمعنى من حيث هو موجود أو غير موجود » .

وقد وقف العلماء الغربيون مذهولين أمام قدرة اللغة العربية على التعبير ، وقد أشار العلماء العرب قديما الى هذه الظاهرة ، فيحكى ان الأصمعي حضر يوما مجلس الفضل بن الربيع . وجرى الحديث حول الفرس ، فتذاكر الجلوس كتاب أبي عبيدة في الخيل ، فأراد الوزير أن يعلم ما عند الأصمعي في ذلك فقال له : « قم يا أصمعي وامسك كل عضو من أعضاء هذا الفرس وسمه فاذا سميتها كلها فخذه » ، فقام وأمسك بناصية الفرس وجعل يسميه عضوا عضوا وينشد ما قالت العرب فيه ، الى أن فرغ منه فأعطاه اياه .

وكذلك تمتاز اللغة العربية بالاعجاز والايجاز ، ولكل قوم اعجاز في لغتهم فيدلون بلفظ قليل على معنى كثير ، ولكن العرب أقدر في ذلك من سواهم لأن لغتهم تساعدهم على ذلك .

وقد بهر المستشرقون بثروة اللغة العربية في التفوق في المترادفات والاضداد ففيها للنور (٢١) اسما ، وللظلام (٥٢) اسما ، وللشمس (١٢٩) اسما ، وللسحاب (٥٠) اسما ، وللماء (١٧٠) اسما ، وفيها مئات من الألفاظ يدل كل منها على معنيين متضادين ، مثل قولهم قعد للقيام والجلوس ونضح للعطش والري .

وكذلك تمتاز اللغة العربية بدقة التعبير في الألفاظ والتراكيب ، ولكل معنى لفظ خاص ، وهناك ألفاظ لتأدية فروع المعاني أو جزيئاتها ، ولكل ساعة من ساعات النهار اسم خاص ، فالساعة الأولى الذرور ، ثم البزوغ ، ثم الضحى ، ثم الغزالة ، ثم الهاجرة ، ويقال أيضا البكور ، ثم الشروق ، والاشراق ، فالرأد فالضحى ، فالمتوع ، فالهاجرة ، فالأصيل ، فالعصر ، فالطفل ، فالحدور ، فالغروب . وكذلك في اللغة العربية تفرعات للأفعال كتفرع فعل النظر الى رمق ، ولمح ، وحدج ، وتوضح ، ورنا ، وحملق ، واستشف ، وتمعن ، وأنعم .

وقد ذكر « اسكندر همبولد » : « أن العرب قد نشروا مع دينهم لغتهم المثقلة بتراث واسع خالد لم تبل جدته ولم تتزعزع أصوله . »

كما قال « هـ.ج. ويلز H. G. Wells » : « ان العلوم والآداب الحقيقية لم تدخل أوروبا الا عن طريق العرب » .

وقال « ليبري Libri » : « صان العرب نهضة الآداب في أوروبا مدة طويلة » .

وهكذا يبدو لنا جليا مدى ما للثقافة العربية بمختلف فروعها من مكانة رفيعة في الفكر العربي . واذا كانت هناك طائفة من المفكرين الذين هاجموا الثقافة العربية فانما دفعهم الى ذلك التعصب والتحيز ، ولكن الثقافة العربية في عيون المنصفين ثقافة أصيلة جديرة بكل تقدير واجلال ■

د. جمال الدين الرمادي — لوس انجلوس

وطئت قدما الجندي « والترشناف » أرض المعركة ، بوصفه فردا من أفراد الجيش الغازي ، وهو يرى نفسه أتعس خلق الله طرا . كان بدينا ، حتى ليجد مشقة في المشي وصعوبة في التنفس ، كما كان يشكو وجعا في قدميه القَطْحاوين ، البالغتي السمنة . ولكنه ، الى ذلك ، وديع عطوف وبعيد عن نهوض الهمة ، قدر عزوفه عن اراقة الدماء ، وهو ، بعد ذلك ، أب لأولاد أربعة يحبهم حبا جمّا ، وزوج لشقراء ما يفتأ يطلق في الأمسيات الحسرات اليائسة على سابق عنايتها به وحدبها عليه. وكان مما يطيب له أن يأوى الى فراشه في ساعة مبكرة ، وأن يستيقظ والشمس عالية ، وأن يتناول على مهل أطايب الطعام ، ومن فلسفته الخاصة أن كل ما هو عذب في الوجود ينقضي بانقضاء الحياة ، لذلك فانه يضمر في صدره كرها رهيبا غريزيا وعقلانيا معا — للمدافع والبنادق والمسدسات والسيوف جميعا ، وبخاصة الحراب ، فقد كان يداخله الاعتقاد بأنه أعجز من أن يناور ، بمهارة بهذا السلاح الماضي ، دفاعا عن كرشه العريض !

وكان اذا ما جنّ الليل ، فاضطجع متلفعا بمعطفه على الأرض الى جوار رفاقه الذين يغطون في نومهم ، يفكر مليا بأسرته التي خلّفها وراءه هنالك ، وبالمخاطر التي تحيق به هو ، ثم يتساءل عما يحلّ بصغاره اذا ما قدّر له أن يلقى مصرعه في هذه الحرب ؟ فمن ذا الذي يقوم بأودهم ويسهر على تربيتهم ؟ هذا الى أنه ليس بذي مال ، وهو الذي اضطر ، قبيل رحيله ، الى أن يرتّب على عاتقه ديونا ، حرصا منه على أن يوفّر لهم بعض النقود ....

كان « والترشناف » ، اذا ما فكر في ذلك كله ، أحيانا ، ذرّف الدمع حسرة واشفاقا !

ومنذ ابتدأت المعارك ، وهو يحسّ شيئا كالوهن يسري في ساقيه ، حتى ليكاد يسقط معه على الأرض ، وقد تراءى له أن الجيش من من ورائه ، برمّته ، سيمرّ على جسده . وأما لعلعة الرصاص ، فكان يقف لها شعر رأسه .

أجل ، انه ليعيش ، منذ أشهر في خضمّ هذا الفزع والقلق .

ووقع له ذات يوم — فيما كان « فيلقه » يتقدم نحو احدى المقاطعات — أن ندب ، مع « مفرزة » من رفاق السلاح ، لمهمّة كانت — بكل بساطة — استكشاف منطقة ما في الريف ثم التراجع في الحال .

بدا الريف لهم هادئا ليس فيه قطّ ما ينمّ عن أن ثمة مقاومة مبيّتة . الا أنهم — وقد أخذوا ينحدرون مطمئنين في واد صغير ، قاطعين في ذلك مجاري للسيل عميقة — أمطروا على حين غرّة بوابل من رصاص ، اضطرّهم الى أن يتسمروا حيث هم ، وقد خرّ منهم حوالي عشرين مضرّجين . ثم ظهرت ، في أثر ذلك ، جماعة من « القنّاصة » خرجوا من قلب حرش صغير ، مندفعين الى أمام ، وقد أشرعوا في رؤوس بنادقهم الحراب المسنونة !

لبث « والترشناف » ، بادئ ذي بدء ، ولا حراك فيه . لقد بوغت واضطرب ذهنه . حتى أنه لم تخطر في باله فكرة الحرب ذاتها . ثم تملّكته رغبة محمومة في أن يولّي الأدبار . ولكنه سرعان ما أدرك أن عدوه — ان عدا — هو أشبه بزحف

ابوك (١)



سلحفاة ، اذا ما قورن بالمحاربين الذين أقبلوا خفافا يتواثبون ، فكأنهم قطيع ماعز !

وبينما هو كذلك ، لمح أمامه ، على مقربة ست خطوات ، حفرة واسعة الفم ، يملؤها « العلّيق » وتغطّيها أوراق الشجر اليابسة . فما كان منه الا أن ألقى بنفسه فيها ، مضموم القدمين ، دون أن يبالي بمدى عمقها تماما كما يقفز المرء من على جسر الى مياه نهر . فاخترق جسمه ، كسهم مارق ، طبقة كثيفة من متسلّق النبات ومن الأشواك التي جرحت وجهه ويديه ، وسقط ، بثقله كله ، مقتعدا فراشا من حجر !

فرفع ناظريه الى أعلى ، فبانت له السماء من خلال « الفتحة » التي أحدثها بهبوطه .

ولكن هذه الفتحة الفاضحة قد تدلّ عليه ... فبادر يسحب نفسه بحذر ، حابيا ، في أعماق هذا « الأخدود » الذي تظلّله الأغصان المتشابكة مبتعدا قدر ما يستطيع عن « موقع المعركة » .

وما لبث حتى توقف ، وعاد يجلس متربصا ... فبدا كأرنب يقعي وسط كومة من العشب الجافّ.

وظلّ ، طوال فترة من الوقت ، يسمع دويا وصراخا وأنينا . الا أن ضجيج المعركة أخذ يتضاءل ، حتى خفتت الأصوات ، وعاد كل شيء صامتا ساكنا .

وأحسّ ، فجأة ، بشيء ما يتحرك على جسده ، فاعترته قشعريرة رهيبة : كان ثمة عصفور صغير قد حطّ ، فوق غصن من الأغصان ، فتساقط لذلك شيء من الأوراق اليابسة عليه ، فاذا قلبه يخفق ، خلال ساعة من الزمان ، خفقانا عنيفا متسارعا .

وهبط الليل مسبغا على الوادي ظلاما . فأخذ الجندي يتساءل : ماذا يفعل ؟ ما يحلّ به ؟ هل يلتحق بجيشه ... ولكن كيف ؟ وبأي سبيل ؟ .. بيد أنه اذا ما التحق ، تعين عليه أن يعود الى تلك الحياة القاسية من القلق ، والرعب ، والمتاعب ، والآلام التي عاناها منذ ابتداء الحرب ! .. لا ، انه لم يعد يحسّ في نفسه الشجاعة ، ولم تعد لديه القدرة على تحمل الزحف ومواجهة المخاطر التي يتعرض لها في كل لحظة .

ولكن ما العمل ؟ ليس في وسعه أن يبقى في هذه « الوهدة » ، متواريا عن الأنظار ، حتى انتهاء الحرب ! يقينا لا . ولولا أنه محتاج الى الطعام ، ما كان لهذه الفكرة أن تفزعه . ولكنه مضطر لأن يأكل ، لأن يتناول طعاما في كل يوم.

وهكذا قيّض له أن يجد نفسه — وهو في بذلته العسكرية ومتقلد سلاحه — وحيدا على أرض الأعداء ، وبعيدا عمن يمكنهم الذود عنه . فسرت في بدنه قشعريرة .

أخذ يفكر على نحو آخر : « ليتني كنت أسيرا ! » .

فخفق قلبه للأمنية ، للأمنية العزيزة الجامحة أن يكون أسيرا ، أسير ، أجل ! فذلك ما يوفّر له الأمان ، والغذاء ، في منجى من طلقات النار وطعنات السيوف ، ودون ما خوف يساوره ألبتّة ، في سجن جيد محكم الحراسة . أسير ! يا له من حلم !

واتّخذ ، في الحال ، قراره : « لسوف أستسلم أسيرا » .

وانتصب واقفا ، وقد آلى على نفسه أن ينفّذ عزمه ، دون أن يتوانى دقيقة واحدة . ولكنه لبث واقفا دون حراك ، وقد اصطلحت عليه ، فجأة ، أفكار مزعجة ومخاوف جديدة .

(١) تنقل الى العربية لأول مرة « المعرب » .

بقلم غي.دو.موباسان

تعريب فاضل السباعي



أين يسلّم نفسه ؟ وكيف ؟ وفي أي اتجاه يمضي ؟ وانثالت في خاطره الصور المفزعة ورؤى الموت الزؤام .

لسوف يتعرض للمخاطر الجسيمة ، فيما هو يطوّف الحقول ، وحيدا ، معتمرا خوذته المدبّبة .

فماذا لو التقى بفلاحين ؟ ان هؤلاء ، ان وقعت أعينهم على غاز قد ضلّ طريقه ، غاز لا يملك ما يدافع به عن نفسه ، اذن لأجهزوا عليه كما يجهزون على كلب شارد ، فتكوا به بمذاريهم ، ومعاولهم ، ومناجلهم ، ورفوشهم ، هرسوا لحمه حتى جعلوا منه « عصيدة » أو « خبيصة » ، بكل ما في المهزوم المحنق من ضراوة !

وإذا ما التقى بقنّاصة من الأعداء ؟ ان هؤلاء ، المعبأة صدورهم بالغلّ ، الذين لا يحكمهم قانون أو نظام ، سيطلقون عليه النار للتسلّي وتزجية الفراغ وحسب ، بل أنهم ليبتهجون بمجرد أن تصافح أعينهم سحنته ! .. ثم راح يتمثل نفسه مسندا الى حائط ، قبالة اثني عشرة بندقية ، وقد تبدت له فوهاتها الصغيرة المدورة السوداء عيونا تتفرس فيه !

بل ماذا لو التقى بأفراد من الجيش نفسه ؟ اذن لحسبته « مقدمتهم » ، « كشافا » ذا جرأة واقدام ، جنديا ماهرا قد انطلق في مهمة استطلاعية فيطلقون عليه النار . وتراءى له أنه يسمع طلقات غير منتظمة ، يسدّدها جنود منبطحون بين شجيرات العليق ، على حين يقف هو في منتصف حقل ، وما يلبث أن يخر صريعا ، وقد خرّق الرصاص جسده تخريقا ، فهو يحس به يتغلغل في طيات لحمه !

فعاد يقتعد الأرض ، يائسا ، وقد بدا له أن ورطته لا منجاة منها .

وأقبل الليل الأبكم الحالك الظلمة ، ليحل عليه بثقله كله . فتلبّث ، لا يأتي بحركة ، ويرتعد هلعا من أية نأمة خفية أو ضئيلة تخفق في دامس الظلام ، حتى أنه همّ بأن يترك الحفرة ويولّي هاربا ، عندما ضرب أرنب بمؤخرته طرف جحر . وأما ما يترامى الى سمعه من نعيب البوم ، فقد أخذ يذهب بلبّه ، نافضا في صدره مخاوف ما تنقضي توجعه كأنها الجراح . وأنه ما ينفكّ يوسع عينيه ليستبين ما في الظلام ، وقد خيّل اليه أنه يسمع وقع خطوات بالقرب منه .

وبعد ساعات لا عدّ لها ، عانى فيها ألوانا من العذاب ، لاحت له غبشات الفجر الوليد ، عبر الأغصان التي تغطّي الحفرة . فتنفّس الصعداء ، وقد داخله اطمئنان عظيم ، واسترخى بدنه ، وحلّت فيه راحة مباغتة ، وسكن جنانه من بعد اضطراب ، فانسدل جفناه وأغفى .

وعندما هبّ من رقاده ، وجد الشمس وقد قاربت كبد السماء : انها الظهيرة ، لا بد . لا ضجة تعكر سكون الحقول الكئيب . وتبين ، هنا ، أنه جائع جوعا لا نظير له .

تثاءب .

وخطر السجق على باله ، ذلك السجق الذي يوزّع على الجنود ، فتحلّب ريقه ، وأحسّ في معدته ألما مبرحا .

انتصب واقفا ، وخطا بضع خطوات . فأحس أن ساقيه لا تقويان على حمله ، فعاود الجلوس وقد استغرقه التفكير . وطفق ، خلال ساعتين أو ثلاث ، يوازن ما بين حسنات وجوده في الحفرة وسيئات بقائه فيها ، وما يكاد يستقر على رأي حتى يدعه الى سواه ، الى أن غدا خائرا ، يائسا ، تتجاذبه عوامل أكثر تناقضا .

ثم أن فكرة خطرت له ، معقولة ومقبولة ، تلك أن يكمن مترقبا مرور أحد القرويين ، وحيدا ، أعزل من السلاح ومجرّدا من أية أداة من أدوات العمل التي يمكنها أن تستخدم للفتك به ... اذ ذاك يهرع اليه واضعا نفسه بين يديه ، فيدرك القروي أنه مستسلم له .

رفع الخوذة عن رأسه . خشية أن يشي به حدّها المسنون . ويحذر بالغ أطلع رأسه من الفتحة التي كان قد أحدثها عبر الأغصان .

لم يلح له ، على امتداد الأفق ، أي قروي يسير منفردا . وبدت له ، هناك الى اليمين ، قرية صغيرة يتصاعد الى السماء من أسطحتها دخان : انه دخان المطابخ ! وأبصر ، يسارا ، في نهاية صف الأشجار في ذلك الطريق ، قصرا محصنا بأبراج صغيرة .

لبث يترصد حتى المساء ، وهو يحس ضجرا لا مزيد عليه . ولكنه لم ير شيئا غير تحليق الغربان ، لا ولم يسمع الا الشكاة الصامتة لأمعائه التي يعصف فيها الجوع .

وهبط عليه الليل ، ثانية .

فاستلقى في أعماق مكمنه . وألمّ به نوم محموم ، مخالط بكوابيس ، نوم انسان قد هدّه الجوع .

وأسفر الفجر ، فوق رأسه ، من جديد . فعاد الى رصده . الا أن الحقل ما يزال خاويا كما كان بالأمس . فدهم قلبه خوف جديد . خوف من أن يقضي نحبه جوعا ! ورأى نفسه ، بعين الخيال ، متمددا على ظهره في غيابة حفرته مغمض العينين ، وما يلبث كذلك حتى تتجمع حول جثته حشرات ، دويبات من كل صنف ، وتروح تطعم منها ، مهاجمة اياها من كل جانب وفي آن واحد ، متسللة الى ما تحت ثيابه ، لتنهش جلده الذي غدا باردا . على حين يفقأ غراب ضخم عينيه بمنقاره الحاد !

وهمنا انتابه مسّ من جنون ، وقد خيّل اليه أنه موشك أن يقع مغشيا عليه من فرط الأعياء ، فلا يعود يقوى على المشي . فتهيأ للمضي نحو القرية ، وقد صحّ عزمه على أن يجابه المخاطر ويتحدّى الصعاب ، عندما لمح ثلاثة فلاحين يغذّون السير في اتجاه الحقول ، وقد حمل كلّ مذراته على كتفه ... فارتدّ الى ملجئه يلوذ في حماه !

ثم ان تنزلت عتمة المساء ، حتى انسلّ من الحفرة ، ميمما وجهه شطر الطريق المشجر ، مطأطئ الهامة ، خافق القلب ، مرتعدا ، مؤثرا أن يتوجه الى القصر ، لا أن يدخل القرية التي بدت له مرعبة كعرين يعج بالنمور !

كانت نوافذ الطابق السفلي منورة . وقد فتحت احداها ، وتصاعدت منها رائحة لحم مطبوخ ، رائحة فغمت أنفه ، وتسربت حتى أعماقه ، فأثارت شهيته ، وجعلته يلهث من سغب جاذبة اياه على نحو لا يقاوم ، مستثيرة آخر ما في قلبه من جراءة .

وهكذا ، وبدون أن يعمل فكره ، وقف في النافذة ، وخوذته على رأسه .

كان ثمة ثمانية من الخدم ، متحلقون حول مائدة كبيرة ، يتعشون . توقفت خادمة منهم ، فجأة ، فاغرة فاها ، تاركة الكأس تنفلت من يدها ...

وسرعان ما تحولت الأبصار الى حيث تسمرت عيناها ، فوقعت على ... العدو !

— « سيدي ! الأعداء يهاجمون القصر ! .. »

كانت ، بادئ ذي بدء ، صرخة ، صرخة واحدة ، قوامها ثماني صرخات انطلقت بثماني نغمات متباينة !

كانت صرخة ذعر مريعة ، أعقبتها فوضى عارمة : تدافع ، اختلاط بعضهم ببعض ، هرب زائغ باتجاه الباب ، في أقصى الغرفة ! تهاوت الكراسي ، ودافع الرجال النساء فرموهنّ أرضا ومروا على أجسادهن . وهكذا ،

في ثانيتين اثنتين ، أمست الغرفة خالية ، مهجورة بمائدتها العامرة بأطايب الطعام ... وذلك كله على مشهد من « والترشناف » ، الذي لم يبارح موضعه من النافذة ، وقد اعتراه الذهول !

عبر ، بعد لحظات تردد ، النافذة مندفعا نحو صحاف الطعام ، وقد جعله جوعه الحاد يرتعد كمن به حمى . الا أن خوفا ما يزال يستبد به ويشل حركته .

أصاخ السمع ، فبدا له أن المبنى كله يهتز أبواب تصفق ، خطوات عجلى تترى في الطابق العلوي ! أرهف سمعه ، ليستبين تلك الأصوات المبهمة ما تكون ؟ فتلقطت أذناه ضجة مكتومة ، هي أشبه بتساقط أجسام على الأرض الترابية الهشّة أسفل الجدران ، أجسام بشرية تترامى من الطابق العلوي !

سادت الضوضاء ، وخفت كل حسّ ، فران على القصر صمت القبور

اتخذ « والترشناف » مكانه أمام طبق لم تمسسه يد . وأخذ يأكل ، يأكل بملء فيه ، كما لو أنه يخشى أن يرفع الطعام من بين يديه قبل الأوان ، فلا يتاح له أن يلتهم منه القدر الكافي . كان يدفع ، بكلتا يديه ، باللقم الى فمه المشرع كباب مغارة . واللقم الضخمة تنزلق دفعة في اثر دفعة الى معدته ، مرورا بحنجرته التي تنتفخ مع كل بلعة . وانه ليتوقف ، أحيانا ، وقد أوشك حلقه أن ينبعج من ضخامة اللقم ، حتى ليشبه خرطوما قد امتلأ ماء ، واذ ذاك يعمد الى ابريق طافح فيكرع منه ، مزيلا ما احتشد في بلعومه . فكأنه يعزّل قناة مسدودة !

أتى على الصّحاف والزوارق جميعا . حتى اذا اكتظ من طعام ، أحس بالرّمق الشديد ، فاحتقن وجهه واضطرب فكره ، ففك أزرار سترته ليزفر نفسا طويلا .... ثم لم يعد في وسعه أن يخطو خطوة واحدة ، فانسدل جفناه ، وتبلدت خواطره ، وأرخ رأسه ، الذي ازداد ثقلا ، على ذراعيه المعقودتين فوق المائدة ...

وراح ، شيئا فشيئا ، يفقد احساسه بالأشياء والحوادث .

° ° °

كان الهلال ، في انحداره نحو المغيب ، يذرّ أشعته الباهته على الأفق من فوق أشجار الحديقة . وذلك في الساعة الرطبة الباردة التي تسبق الفجر عادة .

أشباح تتسلل بين الأشجار ، كثيرة العدد ، متدرعة بالصمت ، ولكن ربما سقطت شعاعات القمر ، أحيانا ، على نصل معدني فالتمع .

والقصر الوادع ، يرتفع عاليا في غمرة الظلام . وليس فيه من نور سوى نافذتين ، في الطابق الأرضي ، ما يزال ينبعث منهما الضياء .

فجأة هدر صوت :

— الى الأمام ! الى الهجوم ، يا أبنائي !

وسرعان ما تهاوت الأبواب والمصاريع وزجاج النوافذ ، تحت وطأة هجمة شنّها فيض من الرجال ، اجتاحوا المبنى ، مهشّمين محطمين كل شيء . لقد قفز ، في لحظة واحدة ، خمسون جنديا مدججين بالسلاح ، الى المطبخ ، حيث يرقد « والترشناف » بسلام ، فصوبوا الى صدره خمسين بندقية ملقمة ، ورموه أرضا ، وقلبوه ، ثم أمسكوا به ، ووثقوه من فرعه حتى قدميه !

فأما هو ، فقد انبهرت أنفاسه من فرط الدهشة ، وأصابه خبال شديد ، اذ وجد نفسه وقد استعصى عليه الفهم ، مغلوبا على أمره ، مهانا ، يكاد يفقده الخوف عقله .

وفجأة ، وثب عليه ضابط ضخم الجسم ، محلّى بالأنجم والنياشين المذهبّة ، فصاح فيه :

— أنت أسيري ، فاستسلم !

لم يفهم الجندي الا كلمة واحدة هي : « أسير » ، فردد مرتاعا :

— نعم ، نعم ، نعم

ثم انه أجلس ، وشدّ وثاقه الى كرسي . وفحص ، بفضول بالغ ، من قبل المنتصرين ، الذين ما فتئوا يزفرون مثل حيتان . وتهافت كثير منهم جالسين ، وقد خارت قواهم من فرط الانفعال وعظيم الارهاق .

وأما هو ، فقد علت شفتيه ابتسامة . ابتسم ، الآن ، وقد أيقن أنه بات « أسيرا » !

ودخل ضابط آخر ، ليعلن :

— سيدي الكولونيل ! لقد انهزم العدو . ويبدو أن عديدا من رجاله قد أصيبوا بجراح . لقد غدونا سادة الموقع .

فمرّ الضابط الضخم بيده على جبهته ، ثم صاح :

— انه النصر !

ثم سلّ من جيبه « مفكرة » صغيرة ، وأخذ يكتب فيها :

« بعد معركة حامية الوطيس ، اضطر الأعداء لأن يقاتلوا وهم ينسحبون ، حاملين قتلاهم وجرحاهم الذين يقدّر عددهم بخمسين رجلا أصبحوا خارج المعركة . وقد وقع العديد من رجالهم أسرى في أيدينا » .

استطرد الضابط الشاب :

— وأية تدابير يتوجب علي أن أتخذ ، يا سيدي الكولونيل ؟

أجاب الكولونيل :

— سوف نتراجع ، اتقاء هجوم معاكس مدعوم بالمدفعية وبقوات متفوقة !

واصدر أوامره بالانسحاب .

وفي ظل جدران القصر ، أصلح الكولونيل من شأنه ، متخذاً طريق العودة ، بينما أحيط « والترشناف » ، الموثق بالمحاربين من كل جانب وقد أمسك به ستة منهم وكلّ مسدسه في قبضته .

وأنفذت زمر الاستكشاف لاستطلاع الطريق في حين كان « الموكب » يسير ، باحتراس بالغ متوقفا بين الفينة والأخرى .

وعندما طلع النهار ، كانوا قد وصلوا الى مقر القيادة المساعدة ، التي قام حرسها بهذا الانجاز الحربي الرائع !

كانت في انتظارهم ، هناك ، جموع غفيرة من الناس ، متلهفة وقد عصف بها الغضب . وما ان لاحت خوذة الأسير ، حتى تصاعدت ضوضاء شقّت عنان السماء ، ولوحت النسوة بأذرعتهن في الفضاء ، وأجهشت العجائز في البكاء ، وقذف شيخ طاعن بعكـــازه نحو الجندي الغازي ، فأدمى أنف حارس من حراسه .

فصاح الكولونيل :

— أسهروا على سلامة الأسير !

وبلغوا ، آخر الأمر ، سجن المدينة ، الذي انفتحت مغاليقه ، وألقي في غيابته بـ « والترشناف » ، بعد أن حلّ وثاقه . وعهد بحراسة المبنى الى مائتين من المسلحين .

وعلى الرغم من التخمة التي كان الجندي « والترشناف » يعاني منها منذ أصاب طعامه في الليلة التي مضت ، فانه أخذ يرقص مستطار اللب من فرح ، يرقص مستهاما ، ملوحا بذراعيه ، مطوّحا بساقيه في الهواء ، يرقص وهو يطلق صرخات محمومة ... حتى انطرح أرضا من الاعياء .

لقد أمسى أسيرا ! لقد أنقذت روحه !

وهكذا استرد القصر من قبضة الأعداء ، بعد احتلال لم يدم سوى ست ساعات .

وأما الكولونيل . الذي أنجز تلك المهمة ، وهو على رأس أفراد من الحرس ، فقد منح وساما ■

فاضل السباعي — دمشق

الحركة الكشفية في المملكة العربية السعودية

لا بد لنا ونحن في صدد الحديث عن الحركة الشكفية في المملكة من العودة الى مطلع القرن العشرين لنقف على تطور الحركة الكشفية العالمية . ففي عام ١٩٠٧ م ظهرت بوادر هذه الحركة في الجزر البريطانية على يد مؤسسها الجنرال الانجليزي اللورد «بادن باول — Baden Powell » (١٨٥٧-١٩٤١م) ، الذي أصبح فيما بعد يلقب بالكشاف الأول في العالم . ولم تلبث هذه الحركة أن امتدت الى بلدان أخرى ، فبلغ عدد المنتسبين اليها في أواسط الخمسينات من القرن العشرين نحو ستة ملايين ونصف المليون عضو عامل ينتمون الى مئة قطر . وراحت الحركة الكشفية منذ نشوئها تكرس أهدافها في سبيل غرس العادات الحميدة في نفوس الفتية والشباب المنتمين اليها ، باتباع أسلوب تربوي رفيع يعتمد أساسا على مبدأ الاعتماد على النفس . ولعل من أهم الوسائل المتبعة لتحقيق ذلك الهدف تشجيع التعبير عن الذات لدى المنتسب ، وايقاظ رغبته في التعلم والبحث عن الحقائق ، حتى يغدو عنصرا ايجابيا في عملية التعلم ، لا أداة تتلقى بطريقة سلبية تأثرية ما يتاح لها من ألوان المعرفة والخبرة . والحركة الكشفية انما تسلك ذلك الأسلوب التربوي حتى يصبح لدى الكشاف القدرة الكافية على مجابهة العراقيل التي تعترضه في المستقبل والعمل على تذليلها .

ومن المبادئ الأساسية التي يلتزم بها الكشاف اطاعة الله ، والشرف واداء الواجب نحو وطنه ومليكه ، والتفاني في خدمة أخيه الانسان في كل آن ، والعمل بمبادئ الحركة الكشفية . ولئن اختلف تطبيق تلك المبادئ بين بلد وآخر شكلا ، فانها تلتقي على صعيد واحد جوهرا . وقد مرت الحركة الكشفية منذ نشوئها بمراحل تنظيمية عديدة حتى أصبحت على ما هي عليه اليوم . ففي عام ١٩٢٠ ، أقيم مهرجان دولي للكشافة « جامبوري » في أوليمبيا ، احدى ضواحي مدينة لندن ، اشتركت فيه ٣٢ دولة . وكان من أبرز نتائج هذا المهرجان أن تم الاتفاق على تشكيل مجلس دولي يتولى رعاية الحركة الكشفية في العالم . وهذه المهرجانات الكشفية ، التي تعبر بصدق عن التعاون والاخاء والمحبة بين الشعوب ، تقام كل أربع سنوات في بلد من البلدان كما يعقد مؤتمر دولي كل عامين يحضره قادة الحركة الكشفية في البلدان المسجلة بصفة رسمية لدى « المكتب الكشفي الدولي » وذلك لتبادل الخبرات في المجال الكشفي . وقد عقد أول مؤتمر دولي من هذا النوع في فرنسا عام ١٩٢٢م



[illegible]

الى المحبة و... و الإخاء . فغدت في زمن يسير تحتل مركزا مرموقا في هذا المضمار .



وانبثق عنه « المكتب الكشفي الدولي Boy Scout World Bureau » ومقره الحالي في مدينة جنيف في سويسرا .

ومن بين المهام التي يضطلع بها ، مساعدة الدول المشتركة على النهوض بالحركة الكشفية في جميع المجالات دون التدخل في التنظيم الداخلي لها . وتتمثل هذه المساعدة في تقديم البحوث والخبراء ووسائل التدريب السمعية والبصرية واللوحات والملصقات والنشرات وما شابهها . كما يقوم المكتب بعقد دورات كشفية تدريبية على مستوى عالٍ . وينظم المكتب برامج كشفية تسمح للشباب من الدول المشتركة بتبادل الخبرات والزيارات بقصد توثيق عرى الصداقة والمحبة بينهم ، واعدادهم لحياة أفضل في سبيل تحقيق السعادة الانسانية المنشودة .

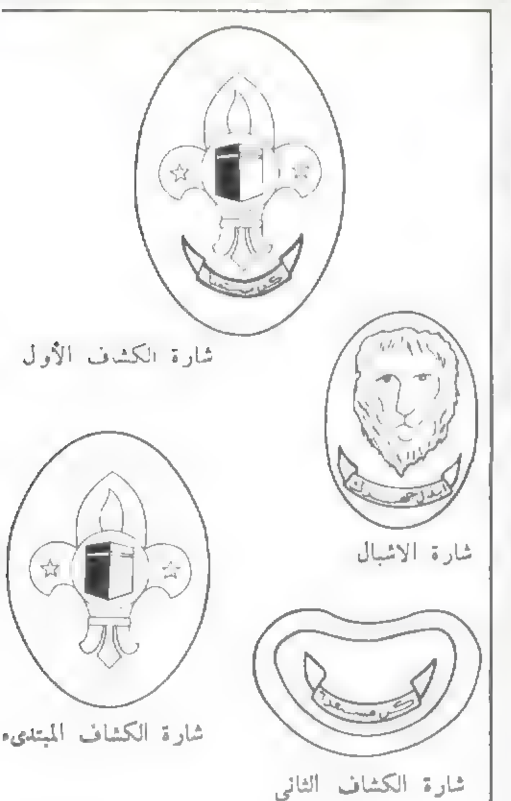
ويبلغ عدد الدول المسجلة لدى هذا المكتب حتى الآن ١٠٥ دول ، منها ١٤ دولة عربية من بينها المملكة العربية السعودية . ولكي يتسنى للمكتب الكشفي الدولي بلجانه المختصة أن يسهم اسهاما فعالا في تأدية مهامه الآنفة الذكر ، فقد جرى تقسيم العالم الى أقاليم — Regions، في كل منها مكتب كشفي مرتبط ارتباطا مباشرا بالمكتب الكشفي الدولي . وأول اقليم أنشيء في العالم هو الاقليم العربي ، ثم تلاه الاقليم الباسيفيكي الأسيوي ، فالاقليم الأفريقي ، فالاقليم الأمريكي ، فالاقليم الأوروبي . أما المكتب الكشفي العربي ، ومقره في القاهرة ، فقد أنشئ عام ١٩٥٤م . وفي العام ذاته عقد أول مؤتمر كشفي عربي في الزبداني في سوريا تم فيه وضع نواة «اللجنة الكشفية العربية» . ويضم المكتب الكشفي العربي حاليا ست عشرة دولة عربية .

أضواء على تاريخ الحركة الكشفية في المملكة

عرفت المملكة العربية السعودية النشاط الكشفي المنظم في عام ١٣٦٣هـ عندما تكونت الفرقة الكشفية الأولى في مدرسة تحضير البعثات الثانوية والمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة . وعلى أثرها انتشرت الحركة الكشفية انتشارا محدودا في بعض مناطق المملكة على شكل مجموعات صغيرة ينقصها التنظيم وتعوزها مقومات القيادة الكشفية المدربة . ومع ذلك فانه يرجع الى تلك الفئة القليلة من رواد الكشف الأوائل فضل توجيه الأنظار الى الحركة الكشفية ، وتعريف المواطنين ببعض أوجه النشاط الكشفي . وعندما تحولت مديرية المعارف في المملكة الى وزارة











١ – صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العز
يقص الشريط إيذانا بافتتاح تجمع الجوالة الاسلا
الخامس في مكة المكرمة لعام ١٣٩٢ .

٢ – صاحب السمو الأمير خالد بن فهد بن خالد
يوزع الكؤوس التذكارية في الحفل الكش
للدورة الأولى للشارة الخشبية الذي أقيم في الأحـ

٣ – أحد الكشافة يرفع رمز الكعبة المشرفة ،
المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

٤ – رفع العلم وتأدية التحية من تعاليم الكشافة الأساسية

عام ١٣٧٣هـ ، وأخذ التعليم ينتشر في ربوعها ، واشتد اقبال الطلاب على الالتحاق بالمدارس ، أنشئت عام ١٣٧٤هـ ، ادارة عامة لرعاية الشباب في وزارة المعارف ، كان من بين اختصاصاتها العمل على نشر الحركة الكشفية في مدارس المملكة فراحت منذ ذلك الحين تعمل جاهدة على تنظيمها وتنسيقها وتعميمها بين شباب المملكة . وفي عام ١٣٧٥هـ أصدرت الادارة العامة لرعاية الشباب أول نشرة كشفية منظمة طلبت فيها من كل مدرسة ثانوية وما في مستواها أن تشترك بعدد لا يقل عن اثني عشر كشافا يجري تدريبهم لكي يصبحوا نواة للفرق الكشفية من العرفاء الأوائل وعرفاء الطلائع ويقومون بقيادتها وارشادها . وبذلك بدأ النشاط الفعلي في مجال الحركة الكشفية يسير على نحو عملي منظم . وقد بلغ عدد الكشافة الذين تقدموا للانتساب لهذه الحركة آنذاك ٩٠ كشافا تلقوا تدريباتهم الكشفية في سبعة معسكرات وأقام الكشافة خلال فترة التدريب ست عشرة حفلة منها عشر حفلات للسمر . وقد دعي أولياء الطلاب والمواطنون لحضور بعض هذه الحفلات ليطلعوا على أوجه النشاط الكشفي وما لها من أثر فعال في تربية الكشاف وصقل شخصيته وتوسيع آفاقه ومداركه وتعويده على الاعتماد على نفسه ، فكان تجاوبهم نحو الحركة مشجعا للغاية ، مما دفع القائمين على الحركة الكشفية الى المضي بها قدما .

وامتدت الحركة الكشفية الى المدارس الابتدائية ، حين قامت « رعاية الشباب » بتعميم نشرة كشفية عام ١٣٧٦هـ تقضي بتأسيس « زمر الأشبال » في المدارس الابتدائية ، وسرعان ما تألفت ٣٢ زمرة ضمت ٧٦٨ شبلا . وأما الفرق الكشفية في المدارس الثانوية فقد اتسع نشاطها وأصبح العرفاء الأوائل وعرفاء الطلائع الذين جرى تدريبهم قادة لسبع عشرة فرقة كشفية تأسست في المدارس الثانوية ومعاهد المعلمين وقد ترتب على ذلك زيادة عدد معسكرات التدريب وانشاء مراكز كشفية دائمة . ومنذ ذلك التاريخ بدأت الحركة تسير بشكل منظم . وفي سنة ١٣٧٩هـ أنشئ قسم التربية الكشفية ضمن ادارة رعاية الشباب ، فاقام تجمعات كشفية في مناطق المملكة الرئيسية ، كما كون زمر الأشبال وفرق الكشافة وفق الأسس والمبادئ الكشفية المعتمدة لدى جميع الدول العربية . فكان أن تأسس في عام ١٣٧٩ ثلاث عشرة فرقة كشفية في المدارس الثانوية ، وعشرون فرقة في المدارس المتوسطة ، وخمس وعشرون فرقة في معاهد المعلمين ضمت جميعها ١١٠٩ كشافة ، كما تأسس في المدارس الابتدائية ١٥٨ زمرة للأشبال ضمت ٢٣٨٨ شبلا . وأقامت رعاية الشباب دراسات صيفية بمدينة الطائف لاعداد قادة لزمر الأشبال في المدارس الابتدائية .

مولد جمعية الكشافة العربية السعودية

في سنة ١٣٨١ صدر مرسوم ملكي بالموافقة على انشاء « جمعية الكشافة العربية السعودية » تشرف عليها وزارة المعارف . وقد قامت الجمعية بتدريب الشباب على مختلف الفنون والمهارات الكشفية وأعمال الخدمة العامة في اطار من تعاليم الدين الاسلامي ، وواقع البلاد الاجتماعي والتاريخي والثقافي . والجمعية في تنفيذ برامجها الكشفية هذه تتعاون مع المكتب الكشفي العربي والمكتب الكشفي الدولي والمنظمات الدولية في حدود أنظمة الدولة وقوانينها المرعية .

هذا ، ويرأس مجلس جمعية الكشافة العربية السعودية حاليا معالي وزير المعارف ، وينوب عنه سمو وكيل وزارة المعارف للشئون التعليمية والادارية .

وقد نظمت الجمعية في صيف عام ١٣٨١ دورة الطائف التي اشترك فيها ستون قائدا تم اعدادهم ليكونوا قادة لزمر الأشبال والفرق الكشفية ، واستمرت تلك الدورة خمسين يوما .

وعلى الصعيد الخارجي ، اشتركت « جمعية الكشافة العربية السعودية » في العام ذاته في معسكر قطر الذي أقيم في الدوحة لكشافي منطقة الخليج العربي بناء على دعوة من جمعية الكشافة القطرية ، كما اشتركت في معسكرات ومؤتمرات كشفية دولية خلال عام ١٣٨٢هـ ، من بينها المعسكر العربي الكشفي الخامس الذي أقيم في الرباط عاصمة المملكة المغربية والذي نظمه المكتب الكشفي العربي . واستطاعت البعثة الكشفية السعودية أن تحصل على المركز الثاني بين الدول المشتركة في ذلك المعسكر ، وكذلك معسكر الصداقة الرابع لدول البحر الأبيض المتوسط « الفيليا الرابع » الذي أقامته ليبيا . كما اشتركت الجمعية في الدراسات الكشفية للشارة الخشبية التي نظمت في تونس حيث أوفدت اليها اثنين من قادتها حصلوا على الشارة الخشبية للأشبال . وذلك بالاضافة الى الدراسات الصيفية في الطائف التي اشترك فيها ستون قائدا منحوا اجازات لقيادة الفرق الكشفية وزمر الأشبال .

وفي عام ١٣٨٣ انتقلت الجمعية الى مرحلة جديدة ، حيث اشتركت في التجمع الكشفي العالمي الحادي عشر الذي أقيم في أثينا عاصمة اليونان خلال ذلك العام ، والذي اشترك فيه ١٥ ألف كشاف ينتمون الى ٨٤ دولة . واشتركت الجمعية فيه بفرقتين قوامهما ٤١ كشافا نالوا عدداً من الميداليات والأوسمة

أحد الكشافة السعوديين يستقبل حاجا في مطار جدة الدولي ويوفر له التسهيلات اللازمة لإنجاز معاملاته .





أحد التدريبات ال





الكشاف عون لكل أفراد المجتمع يسعى دائما الى إرشادهم وتيسير أمورهم .

الكشفية ، وأحرزت بذلك المركز الثاني في التجمع . وكان للنتيجة المشرفة التي حازت عليها البعثة الكشفية في ذلك التجمع أن وافق المؤتمرون الدوليون على انضمام الجمعية الى المكتب الكشفي الدولي ، وذلك في ١٣ أغسطس ١٩٦٣ . واشتركت في العام ذاته في الاحتفال الثلاثيني لذكرى تأسيس الحركة الكشفية بتونس بطليعة كشفية كاملة مؤلفة من ستة من القادة . كما اشتركت في معسكر قطر الخامس الذي أقيم في الدوحة بطليعة كشفية قوامها ثمانية كشافة وقائدان .

وعلى الصعيد الداخلي قامت الجمعية باحداث خطة تنظيمية للحركة الكشفية دعت اليها عوامل كثيرة منها التوسع في التعليم ، والزيادة المطردة في اعداد الأشبال والكشافة ، وبعد الشقة بين مناطق المملكة المترامية الأطراف . فأوجدت الجمعية مكاتب كشفية اقليمية تعمل كأجهزة مستقلة تشرف على النشاط الكشفي في مناطق المملكة التعليمية ، وترتبط بها ارتباطا مباشرا . كما تم تنظيم الفرق والمجموعات الكشفية بتسلسل أرقامها الخاصة في كل منطقة . وأصدرت الجمعية تعليمات خاصة بتنظيم الاشتراك في الحركة الكشفية بالنسبة للقطاع الأهلي حتى لا تكون الحركة وقفا على طلاب المدارس .

وراحت الحركة الكشفية بعد ذلك تشق طريقها على الصعيدين الخارجي والداخلي ، فأنشأت مراكز للتدريب ومعسكرات كشفية دائمة ومؤقتة ، وقامت بتنظيم مهرجانات كشفية في مناطق المملكة ، وعقد دورات تدريبية مختلفة . وتنظيم رحلات كشفية داخلية وخارجية ، وايجاد نواد كشفية في المدارس تسهم في تنمية الذوق الفني لدى الكشافة وصقل مواهبهم واكتشاف ميولهم واستعداداتهم بغية تنميتها وتطويرها ، وتنظيم مسابقات مختلفة في شتى الفنون الكشفية في المناطق ، واشراك الكشافة في الخدمة العامة ، وتوحيد المناهج الكشفية لجميع المراحل ، وتقرير الشارات والشهادات الكشفية التي تذكي جذوة التنافس لدى الأشبال والكشافة على حد سواء .

التدريب الكشفي

لئن كانت بداية التدريب الكشفي متواضعة ومرتجلة لندرة قادة الكشف آنذاك، فان التدريب اليوم قد بلغ مستوى رفيعا بفضل اتباع الأساليب والوسائل الحديثة . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن « المديرية العامة لرعاية الشباب » تصدر في مستهل كل عام دراسي خطة عامة وبرنامجا زمنيا يحدد النشاطات الكشفية المختلفة من توجيه ومتابعة وتدريب ونشاط عام وتطبيق للمناهج الكشفية للمراحل المختلفة في مناطق التعليم . وتقوم بعض المناطق التعليمية بتدريب كشافيها في مراكز دائمة أقيمت لهذا الغرض .

وفي المملكة خمسة مراكز دائمة في الرياض ، وجدة ، ومكة المكرمة ، والطائف والأحساء، وهي مزودة بالأدوات والمعدات الكشفية الحديثة ولوازم الهوايات والرحلات . كما توجد مراكز تدريب مؤقتة في كل من المدينة المنورة وعنيزة والدمام وأبها وبيشة وجازان ونجران وشقراء والمجمعة .

أما تدريب القادة فقد أولته جمعية الكشافة العربية السعودية اهتماما بالغا ، وذلك عن طريق تنظيم دورات تدريبية محلية لهم ، واشراكهم في دورات تدريبية عربية ودولية ، وايفادهم لحضور مؤتمرات ومعسكرات كشفية عربية وعالمية . وقد بدأت هذه الدورات لاجازة قادة الكشافة على شكل دراسات صيفية أقيمت أولاها عام ١٣٨١هـ في منطقة الطائف . ثم أخذت مثل هذه الدورات التدريبية تتوالى في مناطق أخرى من المملكة على نطاق أوسع ومحتوى أشمل . ففي الفترة ما بين عامي ١٣٨١ و ١٣٩٠ عقدت ٣٦ دورة تراوحت مدة كل منها بين خمسة أيام وثلاثين يوما . وقد بلغ عدد القادة الذين حضروا هذه الدورات ٨١٣ قائدا من مختلف مناطق المملكة . وجدير بالذكر أنه في صيف عام ١٣٩٠ أقيمت للمرة الأولى دورة تمهيدية للشارة الخشبية في الطائف كان الغرض منها اختيار بعض قادة الكشف في المملكة تمهيدا لترشيحهم لدراسات الشارة الخشبية ولمعرفة مدى استعدادهم




أفراد الكشافة .


بعض الوفود الكشفية الاسلامية التي شاركت في الاستعراض الذي أقيم في المسكر الكشفي الدائم بمكة المكرمة .

لمثل هذه الدراسات المتقدمة . وقد ضمت هذه الدورة ستين قائدا مثلوا مختلف مناطق المملكة .

وأما في المحيط العربي فقد أوفدت الجمعية عام ١٣٨٢هـ أول بعثة للدراسات الخارجية ممثلة في قائدين لحضور دورة الشارة الخشبية للأشبال التي أقيمت في تونس لقادة الكشف في الدول العربية . ثم أعقب ذلك ايفاد ٣٨ قائد لحضور سبع دورات عقدت في كل من تونس وليبيا والأردن والكويت والبحرين وقطر بين عامي ١٣٨٢ و ١٣٩٠ وشملت الدراسات خلالها دورة تدريب المفوضين ، والشارة الخشبية للأشبال ، والشارة الخشبية للكشافة ، والشارة الخشبية للكشاف المتقدم ، والشارة الخشبية لقادة الكشف.
وفي عام ١٣٩١هـ أوفدت جمعية الكشافة العربية السعودية أربعة من قادتها لحضور دراسات الأمانة العامة للجنة الكشفية العربية التي أقيمت في القاهرة بالتعاون مع المكتب الكشفي الدولي . وقد شملت هذه الدراسات دورة هيئة التدريب الدولية ودورة العلاقات العامة ، ودورة المفوضين .

وفي المجال الدولي أوفدت جمعية الكشافة بين عامي ١٣٨٣ و ١٣٨٩ أربعة من قادتها الى المركز الدولي « بجلويل بارك » في لندن للاشتراك في دورة دراسة الشارة الخشبية ، ودراسات قادة التدريب الدولية .

وتدل الاحصائية العامة الصادرة عن المديرية العامة لرعاية الشباب للعام الدراسي ٩٢/٩١ على أن عدد القادة الوطنيين بلغ ٥٢٧ قائدا بين مؤهل وغير مؤهل . وقد أقيمت للقادة خلال العام ذاته عشرون دراسة تفسيرية على المستوى المحلي ، وست وعشرون دراسة لاعداد رؤساء السداسيات ، وخمس وثلاثون دراسة لاعداد عرفاء الطلائع ، كما تشير الاحصائية نفسها الى أن عدد الأشبال والكشافة في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية في المملكة بلغ ٦٧٨٩ شبلا و ٩٨٠٩ كشافة .

ومما هو حري بالذكر أن جمعية الكشافة العربية السعودية أقامت في الأحساء في الخامس من شوال ١٣٩٢ أول دورة لدراسة الشارة الخشبية ، على المستوى العربي الدولي . وقد أشرف على هذه الدورة الأمانة العامة للجنة الكشفية العربية ممثلة بالأمين العام . وقد اشترك في الدورة ٣٩ قائدا كشفيا ، منهم ٣٠ من المملكة ، واثنان من الكويت ، واثنان من قطر ، وخمسة من البحرين ، تلقوا خلالها تدريبات عملية ونظرية تحت اشراف اثني عشر رائدا من رواد الحركة الكشفية الوطنيين المؤهلين لمثل هذه الدراسات .
وأقيم بهذه المناسبة حفل اختتام كبير برعاية سمو وكيل وزارة المعارف للشئون التعليمية والادارية ونائب رئيس جمعية الكشافة العربية السعودية ، ومنح القادة المشتركون في الدورة شهادات دراسة الشارة الخشبية التي تعتبر أول درجة في سلم القيادة الكشفية على المستوى العربي والدولي . والمعروف أن الانتظام لمثل هذه الدراسة يقتصر على كل من حاز على اجازة القائد ، واجتاز الدراسات التمهيدية التي تسبق دراسة الشارة الخشبية. ووسام الشارة الخشبية هو عبارة عن خيط من الجلد ينتهي بقطعتين من الخشب ومنديل حريري بنفسجي اللون معقود على الخيط الجلدي .

كما قامت الجمعية بهذه المناسبة بتصميم « صندوق الطلائع » لدراسة الشارة الخشبية الذي يتميز عما هو موجود لدى الجمعيات الكشفية العربية مما استرعى أنظار الأمين العام للجنة الكشفية العربية أثناء اشرافه على الدورة ، فطلب من الجمعية تزويده بتصميم الصندوق بغية تعميمه على الجمعيات الكشفية العربية تمشيا مع مبدأ الأمانة العامة في تبادل الخبرات والمعلومات بين الجمعيات العربية الكشفية .

وفي لقاء لنا مع مدير عام رعاية الشباب قال : « لقد حققت الدورة الدراسية للشارة الخشبية نجاحا كبيرا حيث تمكنا لأول مرة من اعداد قادة على مستوى عربي ودولي ، سيضطلعون بالاشراف على النشاطات الكشفية في جميع المناطق بصفة عامة ، وعلى معسكرات التدريب الكشفي والخدمة العامة بصفة خاصة . واننا نتطلع الى اقامة دراسات أخرى مماثلة تعقب هذه الدورة ، ولنا وطيد الأمل بتنظيم دراسات على مستوى أرفع من الشارة الخشبية في المستقبل مثل دراسات مفوض التدريب

وما شاكلها . وجمعية الكشافة العربية السعودية قد وضعت خطة خمسية تهدف الى زيادة عدد الكشافة والقادة ، ومراكز التدريب والمعسكرات الدائمة في المملكة . وتمشيا مع تلك الخطة فقد جرى تأسيس ثلاثة معسكرات دائمة على مستوى المملكة هي : معسكر الخدمة العامة في موسم الحج ، والمعسكر الصيفي ومعسكر عيد الفطر لعرفاء الطلائع . هذا ونتطلع الى اقامة مخيم كشفي ومؤتمر عربي في ربوع المملكة قريبا » .

تسير هذه المناهج جنبا الى جنب مع المراحل التعليمية المختلفة في المملكة من حيث تدرجها واتساع موادها . ومناهج التربية الكشفية في جملتها تحقق أهداف الحركة الكشفية عن طريق تهيئة الوسائل والسبل التي تعمل على تنمية النواحي الدينية والقومية والصحية والعقلية والاجتماعية والعاطفية والخلقية لدى الكشاف حتى يصبح شابا متكامل الشخصية قادرا على النهوض بنفسه والمشاركة في رفع مستوى بيئته واعلاء شأن وطنه ، ولعل شارة جمعية الكشافة العربية السعودية بشعارها تلخص أهداف التربية الكشفية ، فقد اتخذت الجمعية الشارة الدولية وهي زنبقة مؤلفة من ثلاث وريقات تتوسطها دائرة وضع في وسطها رسم الكعبة المشرفة رمزا مميزا وخاصا بالجمعية . وفي الوريقة العليا شعلة ترمز الى النور والعلم . أما في الوريقتين الجانبيتين فنجمتان خماسيتان تشيران الى عيني الكشاف اليقظتين . والوريقات الثلاث بمجموعها تذكر الكشاف بعهده المؤلف من ثلاث مواد تتلخص في ثلاث كلمات هي الاخلاص ، والمساعدة ، والطاعة . وتحف الشارة شريط كتب عليه شعار الكشاف « كن مستعدا » ويتدلى من وسط الشريط حبل معقود يذكر الكشاف دوما بعمل الخير اليومي . أما الشارة فمؤلفة من أربعة ألوان هي الأزرق ويرمز الى سماء المملكة الصافية ، والأصفر ويرمز الى صحراء ورمال المملكة ، والأسود ويرمز الى الكعبة المشرفة ، والأحمر الداكن ويرمز الى شعلة النور والعلم .

أما أولى مراحل التربية الكشفية فهي « مرحلة الأشبال » التي يلتحق بها الأطفال من سن السابعة الى العاشرة . ويتدرج الطفل في هذه المرحلة في ثلاث مراتب هي : الشبل المبتدئ ، والشبل ذو النجم ، والشبل ذو النجمين . ويمنح الطفل



الاعتماد على النفس من المبادىء الأساسية التي تنطوي عليها الحركة الكشفية .

حاج يسترشد بخدمات كشاف صغير .

شارة كل مرتبة بعد اجتيازه اختبارات خاصة بها . وينتظم الأشبال في زمر ، قوام كل زمرة ٢٤ شبلا فينتمي كل ستة منهم الى سداسية ، ويحمل الشبل شارة مثلثة على الكتف بلون السداسية التي ينتمي اليها .

والمرحلة الثانية من مراحل التربية الكشفية هي «مرحلة الكشافة» ، ويلتحق بها الفتيان الذين لا تقل سنهم عن الحادية عشرة ولا تزيد عن الرابعة عشرة . وتنقسم هذه المرحلة الى ثلاث مراتب هي : الكشاف المبتدئ ، والكشاف الثاني ، والكشاف الأول . وتتألف فرقة الكشافة من أربع طلائع في كل منها ٨ أفراد وتحمل الطليعة اسم أحد أبطال المسلمين ويعمل أفرادها جهدهم ليترسموا خطاه ويقتدوا بأفعاله وخصاله .

وفي هذه المرحلة تزداد معارف الكشاف وخبراته من حيث التربية البدنية والقومية وتتاح له فرص أوسع لاظهار مهاراته الكشفية ومشاركته في ميدان الخدمة العامة . وتتفرع عن هذه المرحلة مرحلة أخرى تعرف «مرحلة الكشاف المتقدم» . وينتظم في هذه المرحلة الفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة ويتدرجون في ثلاث مراتب هي : الكشاف المتقدم المبتدئ ، والكشاف المتقدم الثاني ، والكشاف المتقدم الأول . وتتسم هذه المرحلة بتفرع نشاطاتها وتضخم متطلباتها لتلائم نمو الكشاف العقلي والبدني ، فهو الآن أقدر على تحمل المسئولية وأكثر فعالية في مجال الخدمة العامة نظرا لاتساع مخزونه من المعارف والخبرات. ويلي هذه المرحلة في سلم التربية الكشفية . مرحلة «الجوالة» . ويلتحق بها طلبة الكليات والجامعات والمعاهد العلمية العالية في المملكة ممن تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢٥ سنة وكذا الراغبون في الانتساب الى حركة الكشف . والفتى في هذه المرحلة ، يتدرج في ثلاث مراتب هي :

مرتبة الاختيار للجوال المبتدئ ، ومرتبة التدريب للجوال ، ومرتبة الخدمة العامة للجوالين القدامى. وينتظم الجوالون في عشائر تضم الواحدة منها ما بين أربعة الى ستة أرهط ، ويضم الرهط ما بين ٤و٨ جوالين . وعندما يبلغ الجوال هذه المرحلة يكون قد قطع شوطا كبيرا في مجال التدريب وبناء الشخصية ، فيتطوع الى الخدمة العامة على نطاق واسع أو ينتمي الى احدى الجمعيات الخيرية وما شاكلها كعضو نافع في المجتمع . ولا تنتهي حياة الكشاف عند هذه المرحلة بل تتجاوزها الى مراحل أخرى على

ميناء جدة مجال واسع للكشافة السعوديين لتقديم خدماتهم للحجاج الوافدين الى الأراضي المقدسة بحرا .

الأستاذ عزيز بكير ، أمين عام اللجنة الكشفية العربية، يتفقد العوارض الخشبية والحبال التي أشادها المشتركون في دورة الشارة الخشبية بالأحساء .





الحياة الخلوية بمشاقها ومباهجها أمر يستعذبه الكشاف ، وها هو ينصب خيمته ويثبت أوتادها .

مستوى أرفع تتسع معها دائرة الخدمة الانسانية ، ويمنح عليها المتفوق أوسمة متعددة ، أجلها وسام « الذئب البرونزي » الذي يعتبر أرفع وسام في العالم ويحمله حتى الآن ستون شخصا في العالم منهم خمسة من العالم العربي .

ان أهم ما تهدف اليه الحركة الكشفية عامة هو اعداد الفرد ليقوم بنصيبه في خدمة المجتمع الذي يعيش فيه أولا ، وخدمة الناس في مختلف الظروف والأحوال ثانيا . ففي هذا المضمار يسدي الكشاف السعودي خدمات جلّى تدعو الى الاكبار والتقدير . فمنذ نعومة أظفاره ، يشارك في خدمات عامة تحتاجها البيئة القريبة من مقر فرقته أو مدرسته ، من تنسيق الحدائق وتمهيد الملاعب الى المشاركة في أعمال الدفاع المدني البسيطة . وتتسع دائرة الخدمات العامة مع نموه وتدرجه فيشارك في أسبوع النظافة وأسبوع المرور ، ويساهم في التوعية الصحية والاسعافات الأولية ، ويتطوع لجمع التبرعات في المناسبات المختلفة وتنظيم الحفلات للأغراض الخيرية ، ويشترك في الندوات الثقافية الى غير ذلك من الخدمات الانسانية والاجتماعية المتنوعة . ولا تلبث هذه الخدمات العامة أن تزداد مع نضوج الكشاف حجما ومع اتساع مداركه ووعيه تشعبا . فلا تعود تقتصر على محيطه بل تمتد لتشمل أرجاء وطنه بل والعالم من حوله . ويقف على رأس تلك الخدمات الجليلة التي هبت جمعية العربية السعودية لتنظيمها على أكمل وجه ، خدمة حجاج بيت الله الحرام ، والتي تعتبر من أسمى الخدمات الانسانية وأنبلها . فقد أقامت في كل من مكة المكرمة وجدة معسكرا كشفيا دائما لخدمة الحجاج الى جانب معسكرات أخرى في منى وعرفات ، تؤدي واجباتها نحو ضيوف الرحمن . كما أنشأت جمعية الكشافة العربية السعودية معسكرات فرعية للخدمة العامة على الطرق البرية الرئيسية المؤدية الى مشاعر الحج في الرياض والدمام والمدينة المنورة والوشم والطائف وتبوك . وهذه المعسكرات مزودة بالماء والكهرباء والمرافق الصحية والأسواق المختلفة . وهي تقدم خدماتها للحجاج ليل نهار . ويقوم أفرادها بارشاد الحجاج الى المرافق العامة في المدن والمراكز التي يمرون بها وتزويدهم بخرائط ايضاحية تبين لهم أماكن هذه المرافق . كما يساهمون مع رجال الشرطة في تنظيم المرور في المدن والمراكز التي تمر بها قوافل الحجاج ، ويساعدون رجال الحدود والجمارك في تسهيل مهام الحجاج عند الدخول الى المملكة . هذا الى جانب الخدمات الأساسية كمساعدة المسنين والضعفاء من الحجاج ، وتقديم اللوازم العلاجية والاسعافات الأولية لهم ونقل المرضى الى المستشفيات الحكومية .

ففي موسم الحج يستقبل الكشافة الحجاج في مطار جدة ومينائها ويساعدونهم في نقل أمتعتهم ، وتسهيل انجاز معاملاتهم . وفي مكة المكرمة يقوم الكشافة بارشاد الحجاج التائهين الى مقر مطوفيهم ، وكذا الأطفال الى أولياء أمورهم . كما يساعدون الحجاج أثناء الطواف والسعي داخل الحرم ويساهمون في عملية تنظيم الخروج والدخول من أبواب الحرم في أوقات الصلوات الخمس . وتتعاون الفرق الكشفية مع الهيئات الرسمية المعنية بخدمة الحجاج في تقديم الخدمات العامة كمراقبة الأسعار وتوزيع الثلج وأعمال النظافة ، ومع شرطة النجدة في

ارشاد الحجاج ، ومع جمعية الهلال الأحمر السعودي ووزارة الصحة في اسعاف المصابين ومعالجة المرضى ، ومع مصلحة الاحصاءات العامة في تجميع الاحصاءات المطلوبة . وهكذا يضطلع الكشاف السعودي بأجل خدمة نحو ضيوف الرحمن . وقد توجت جمعية الكشافة العربية السعودية أعمال الخدمة العامة للحجيج باقامتها التجمعات الكشفية الاسلامية في موسم الحج والتي تعتبر تجسيدا ساميا لأهداف الحركة الكشفية في العالم .

تجمعات الجوالة الاسلامية

أقدمت جمعية الكشافة العربية السعودية على تنفيذ مشروع اقامة تجمعات كشفية اسلامية خلال عام ١٣٨٤هـ وكانت باكورة هذا المشروع أن أقيم تجمع الجوالة الاسلامي الأول في موسم الحج عام ١٣٨٤هـ وتقرر أن يكون شعار التجمع مستمدا من قوله تعالى « انما المؤمنون أخوة » . وقد بلغ عدد الدول التي اشتركت فيه ١٦ دولة ، ممثلة في ٩١ جوالا وكشافا ، وشارك في التجمع مائتان من جوالي المملكة وكشافيها و ١٥ قائدا . وكان للنتائج الطيبة التي حققها ذلك التجمع أن قررت الجمعية اقامته بشكل دوري مرة في كل عامين ، على أن تستمر أعمال الخدمة العامة سنويا . وعقد التجمع الثاني في شهر ذي الحجة ١٣٨٦ وشارك فيه ١٢٣ عضوا ينتمون الى ١٩ جمعية كشفية . واشتركت جمعية الكشافة العربية السعودية بوفد مؤلف من ٥٠ جوالا ومائة كشاف متقدم ومائة كشاف و ٥١ قائدا واداريا . وفي التجمع الثالث الذي أقيم خلال عام ١٣٨٨هـ بلغ عدد الجمعيات والهيئات الكشفية عشرين جمعية وهيئة ضمت ١٢٠ جوالا وكشافا . ومثل المملكة العربية السعودية ٥٠ قائدا ومائتا جوال وكشاف . وقد أقيم لافتتاح هذا التجمع في المعسكر الكشفي الدائم بجدة حفل شرفه صاحب الجلالة الملك فيصل الذي تفضل بافتتاح المعرض الفني الذي أقامه الجوالة والكشافة السعوديون بالمعسكر . وعقد التجمع الرابع عام ١٣٩٠هـ واشترك فيه ٢٥ دولة اسلامية . ثم أعقبه تجمع الجوالة الاسلامي الخامس في شهر ذي الحجة ١٣٩٢ الذي جاء مثالا صادقا للتعاون المنشود بين الدول الاسلامية ، واشتركت فيه ٣٣ جمعية وهيئة كشفية في البلاد العربية والاسلامية مثل كلا منها ستة أفراد . ومثل المملكة في ذلك التجمع ٦٠٠ كشاف وجوال ، وهو أضخم عدد تشارك فيه الجمعية حتى الآن . وفي ذكرى كل تجمع كشفي ، تصدر جمعية الكشافة العربية السعودية عادة طوابع بريدية تذكارية انيقة تحمل شارة الجمعية .

وجدير بالذكر أن جمعية الكشافة العربية السعودية تستضيف أعضاء الوفود المشتركة طوال مدة التجمع من بداية شهر ذي الحجة حتى العشرين منه ، وتقوم بتأمين جميع متطلباتهم ، كما تنظم لهم حفلات السمر والرحلات ■

سليمان نصر الله – من هيئة التحرير

تصوير : شركة التصوير الوطنية

تنظيم حركة المرور في ميادين جدة خدمة يضطلع بهـا الكشافة في موسم الحـج .





ما هو الكتاب ؟ ان رجعنا الى أي قاموس من القواميس العادية الفيناه معرفا على الوجه الآتي : «أوراق مطبوعة ومجموعة في مجلد » ، وينطبق هذا التعريف على الشكل الذي وصل اليه الكتاب اليوم . ولسنا في حاجة الى القول بأن الكتاب لم يكن دائما على هذا النحو ، ولن يظل كذلك على الدوام ، فان أشكال أخرى سوف تنافسه وهو في شكله الحالي وربما قضت عليه . لقد بدأنا نعرف منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كتبا مسجلة على الميكروفيلم أو الميكروفيش وكتبا مسجلة على أشرطة ممغنطة .

ومهما يكن شكل الكتاب ، فانه الأداة التي ابتكرها الانسان لتكون مساعدا لفكره . ولكن ما يهمنا هنا هو دراسة الكتاب بغض النظر عن محتواه الفكري الذي ينقله .

كيف تطور الكتاب اذن من حيث شكله المادي وطريقة صنعه ؟

يرجح العلماء أن الأقدمين صنعوا الكتاب من الخشب أو من لحاء الأشجار. وقد استخدم المصريون القدماء خشب « الأبانوس » في حوالي ٣٠٠٠ ق.م. ، ويقال أن الكتب الصينية الأولى صنعت من هذه المادة أيضا . واستخدم الأنسان كذلك الحجر منذ حوالي خمسة آلاف سنة فنقش المصريون بالهيروغليفية عليه ، كما استعمل الصلصال والطين والعظم والبرونز . وفضل الساميون والاغريق الكتابة على الأصداف .

وكان قدماء المصريين أول من استخدم ورق البردي ، وكانت كتبهم على هيئة لفائف. وظل نبات البردي الدعامة الاساسية للكتاب في مصر منذ تم اكتشافه في السنة الألف الثالثة ق.م. ، وفي بلاد الاغريق منذ عرفته في القرن السابع ق.م. ، وفي روما ابتداء من القرن الثالث ق.م. ، وظلت أوروبا تستعمله حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي .

والى جانب ورق البردي ، استخدم الأقدمون جلود الحيوانات . والى أهل مدينة « برجاموس » في آسيا الصغرى يعود فضل اكتشاف طريقة جديدة لمعالجة هذه الجلود لجعلها أكثر صلاحية لتسجيل الكتابة . واكتشف الرومان في الشمع



رسم يمثل أحد النساخين العرب أمام قمطره .

مادة جديدة يدونون عليها مذكراتهم وحساباتهم ورسائلهم .

وكان في أثينا منذ القرن الخامس ق.م. ، ناشرون ومحال لبيع الكتب . وأنشأ الرومان في عصرهم الذهبي مشاغل لنسخ الكتب كان عمالها من العبيد . وقام الناشرون في روما باصدار المؤلفات على نطاق واسع . وكان للكتب النادرة سوق خاصة بها . أما حقوق التأليف فلم تكن معروفة في ذلك العصر . ولكن الرقابة على الكتب كانت صارمة فمنعت بعضها وصادرت أخرى وأحرقتها .

وكان النشر مرتبطا بالمكتبات . ففي مكتبة «الاسكندرية» وفي مكتبة «برجاموس» عكف فريق من الفقهاء على تحقيق النصوص ليعدوا لكل نص الأصل النموذجي الذي تنقل عنه النسخ المعروضة للبيع في أنحاء العالم اليوناني الروماني. وكانت مكتبة الاسكندرية تزود المكتبات الكبرى. ومنها مكتبة «أثينا». بأمهات الكتب . ولكن قوات روما أحرقت هذه المكتبة في سنة ٤٨ م ويعتبر اليوم الذي أحرقت فيه هذه المكتبة من أشأم الأيام في تاريخ الكتاب . فقد ذهب عدد لا يحصى من أمهات الكتب طعمة للنيران . وأفل نجم الاسكندرية من ذلك اليوم ، وأضحت أثينا المركز الرئيسي لنشر الكتب ، تعاونها في ذلك مراكز أقل أهمية . نذكر منها . «أفسوس» و «رودس» و «انطاكية» و «نيقيا» .

وإذا انتقلنا الى العصور الوسطى وجدنا أن تحولا هاما ، بل أساسيا ، قد حدث للكتاب عندما عرفت أوروبا الورق بواسطة العرب الذين تعلموا فن صناعته من الصينيين في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي . ففي عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد انتشرت مصانع الورق في بغداد وفي غيرها من مدن العالم الاسلامي ، .وانتقلت هذه الصناعة في القرن العاشر الى مصر . وبعد ذلك وصل الورق الى أوروبا عندما أدخله العرب الى اسبانيا . وتعتبر طليطلة أول مدينة في القارة الأوروبية يصنع الورق فيها .

واهتم العرب اهتماما شديدا بالكتاب ابتداء من منتصف القرن الثاني للهجرة حين

أخذوا يدونون العلوم الاسلامية والاشعار والأخبار والأمثال على الرقوق والجلود والأنسجة ويجمعونها في كتب .

وتعتبر مكتبة « بيت الحكمة » التي أمر بانشائها هارون الرشيد ، على ما يرجح المؤرخون ، أول مكتبة عربية بمفهوم المعنى . وكانت عبارة عن مركز للترجمة ونسخ الكتب والدرس والاطلاع والتأليف . وكان للناسخين قاعات خاصة ، يجلسون فيها ليقوموا بنقل الكتب سواء لحسابهم أو لقاء أجر معين يتقاضونه ممن يكلفهم بنسخ الكتب . ومن أشهر نساخ «بيت الحكمة» رجل من أصل فارسي يدعى « علان الشعوبي » ، قام بنسخ الكتب لهارون الرشيد والمأمون والبرامكة .

ومن أشهر خطاطي العرب « ابن مقلة » المولود ببغداد سنة ٢٧٢هـ ، الذي قام بهندسة الحروف العربية وتقدير مقاييسها ، وكتب رسائل وتصانيف في قواعد الخط ورسومه . وبرز في القرن الخامس الهجري من الخطاطين « ابن البواب » الذي كتب أربعة وستين مصحفا بخطه الجميل ، كما أنشأ رسالة في الكتابة .

وكان أهل مدينة قرطبة أكثر الأندلسيين حبا للكتب وشغفا بها . فكانوا يتسابقون الى اقتنائها ويتفاخرون بضخامة مكتباتهم وندرة كتبها . وحذا الخلفاء الفاطميون في مصر حذو خلفاء بغداد والأندلس ، فأنشأ العزيز بالله الذي تولى الخلافة سنة ٣٦٥هـ مكتبة عرفت باسم « خزانة الكتب » وسار على هذا النهج الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله ، فانشأ في سنة ٣٩٥هـ « دار الحكمة » .

وكان الحاكم العربي الذي يرغب في تعليم شعبه وتنوير ذهنه ينشئ المكتبات ويجمع فيها الكتب من كل العلوم والفنون ويفتح أبوابها للناس . فالفقير — وكان سواد الشعب فقيرا — لم يكن في استطاعته شراء الكتب نظرا لغلاء ثمنها .

وفي العصر المملوكي انتشرت أسواق الكتب في القاهرة واشتد الاقبال عليها . ومن أشهر هذه الأسواق سوق الوراقين وسوق الكتبيين . وكانت هذه الأسواق مراكز لنسخ الكتب وتجليدها . وكان في أغلب المكتبات المملوكية عدد من النساخ يقومون بنقل الكتب ، كما كان يوجد فيها عدد من المجلدين . ونال فن التجليد والتذهيب في القاهرة وفي غيرها من المدن العربية الكبيرة عناية فائقة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين — وكان بعض الناسخين يشتغلون في فن التجليد أيضا .

ليست لدينا مع الأسف تفاصيل أدق عن صناعة الكتاب العربي وتجارته قبل دخول الطباعة الى بلاد العرب ، نستطيع أن نقدمها في هذه الدراسة . أما الكتاب المخطوط في أوروبا فقد عكف عليه الباحثون وأنشأوا فيه المؤلفات العديدة .

وقد اصطلح هؤلاء الباحثون على تقسيم عهود تطور الكتاب المخطوط في أوروبا الغربية والوسطى الى عهدين : العهد الديني ، والعهد العلماني . ففي خلال القرون السبعة التي انقضت على سقوط الامبراطورية الرومانية حتى القرن الثاني عشر احتكرت الأديرة وغيرها من المؤسسات الدينية الثقافة المكتبية وانتاج الكتب ، ولكن ابتداء من نهاية القرن الثاني عشر حدث تغير عميق ، فالتحولات الفكرية والاجتماعية التي أدت على وجه الخصوص الى تأسيس الجامعات وتطور التعليم عند العلمانيين وظهور طبقة جديدة هي الطبقة الوسطى ، كل هذه العوامل وغيرها كان له أثره الفعال على الظروف التي كانت تحيط بتأليف الكتب ونسخها وتوزيعها .

ولا يمكن للباحث المدقق أن يترك جانبا دراسة أسلوب اخراج الكتاب وزخرفته ان أراد أن يتبين الفارق الكبير بين الكتاب في العهد الديني والكتاب في العهد العلماني . ولكن لا بد لنا قبل ذلك أن نشير الى تجديد حدث في القرن الثاني عشر كان له أثر هام على صناعة الكتاب وثمنه ، الا وهو ظهور الورق في أوروبا أو انتقاله اليها كما رأينا آنفا ، الذي أدى الى انتاج الكتاب الرخيص الى جانب الكتاب الفاخر الذي كان يصنع من الرقوق ويباع بأغلى الأسعار . وكان لظهور الورق أثر آخر على صناعة الكتاب ، فقد أصبح ينتج بكميات أكبر . ولكن هذا لا يعني أن ظهور الورق أدى الى اختفاء الرقوق . لقد سار كلاهما جنبا الى جنب حتى القرن الخامس عشر ، ذلك أن الورق في بدايته لم يكن من الجودة ولا من الوفرة بحيث يقضي على الرقوق نهائيا .

وكما كانت الحال في القرون السابقة ، استمرت الأديرة ، حتى في العهد العلماني تنسخ المخطوطات المختلفة التي كانت تحتاج اليها . وقد نصت قوانين هذه الأديرة على تخصيص بضع ساعات من اليوم للأعمال الذهنية ، وكان نسخ المخطوطات يمثل جزءا هاما من هذه الأعمال . وكانت مناسخ الأديرة تنتج الكتب الدراسية والدينية ، وداومت على هذا الانتاج الى اليوم الذي استطاعت المطبعة فيه

نموذج من الخط الهيروغليفي .

نموذج من الخط المسماري .



نموذج من ورق البردي عثر عليه في مصر خلال العمليات الحفرية في عام ١٨٩٧م .

أن تحل محل الناسخين . بيد أن بعض الكتب الدينية ظلت تنسخ باليد حتى القرن السادس عشر . الا أن السمة الغالبة على العهد الجديد الذي يبدأ ببداية القرن الثالث عشر هي أن الأديرة كفت عن أن تكون المراكز الوحيدة لانتاج الكتب واقتصر انتاجها على ما تحتاجه هي من كتب .

انتقلت مراكز الحياة الفكرية من الاديرة الى الجامعات ، وأخذ العلماء والأساتذة والطلبة ينظمون مع الناسخين المتخصصين تجارة نشطة للكتاب . صحيح أنه كان يحدث بين آن وآخر أن يطلب ملك أو أمير من أحد الأديرة الذائعة الصيت في فن الكتابة وزخرفة الكتب أن ينتج له بعض المخطوطات الفاخرة ، الا أن هذا النوع من النشاط أصبح نادرا ولم يعد مصدر ايراد ثابت للاديرة .

وأدت نشأة الجامعات ونموها ابتداء من القرن الثالث عشر ، بل منذ نهاية القرن الثاني عشر الى ظهور جمهور جديد من القراء . وكان الأساتذة في حاجة الى نصوص ومراجع وشروح يستعينون بها على تحضير دروسهم .

وكان من الضروري أن تكون أدوات العمل هذه في متناول أيديهم وأن تنشئ الجامعة مكتبة يجدون فيها ما هم في حاجة اليه من مراجع . ولكن لم يكن من الممكن ولا من السهل دائما شراء نصوص منسوخة . فكان من المحتم اذن انشاء مشاغل يقوم الناسخون فيها بنسخ المؤلفات التي لا غنى عنها نسخا سريعا ورخيصا .

الا أن ذلك لم يحل دون استخدام المكتبات غير الجامعية ، حيث كانت توجد مؤلفات نادرة ومفيدة في وقت معا . وكان نظام استعارة الكتب معمولا به في العصور الوسطى . وكانت الأديرة تعير كتبها الى مكتبات الجامعات الجديدة ، ولا سيما اذا كانت غير راغبة في التنازل عنها بالبيع لعدم وجود نسخ أخرى منها .

وعلى الرغم من أهمية التعليم الشفهي ، فكان الطلبة يحتاجون هم أيضا الى بعض الكتب الأساسية الى جانب المذكرات التي كانوا يدونونها أثناء المحاضرة . وكان الطلبة الأغنياء يكلفون الناسخين بنقل محاضراتهم . وقد تجمع عدد كبير من هؤلاء الحرفيين حول الجامعات . وشيئا فشيئا تكون في كل مركز جامعي طائفة من محترفي نسخ الكتب ما لبثوا أن صاروا جزءا لا يتجزأ من الجامعة ، وأعفوا بناء على ذلك من اداء بعض الضرائب وخضعوا قضائيا للسلطات الجامعية .

وفي مقابل هذه الامتيازات خضع أصحاب المكتبات والوراقون والناسخون لرقابة الجامعة واشرافها . وباعتبار أنهم يعملون في هيئة كبيرة كانت تبسط حمايتها عليهم ، لم يكونوا أحرارا كسائر الصناع الذين يعملون من أجل فائدتهم الشخصية . فتنظيمهم كان يذكرهم في كل لحظة بأنهم يمارسون عملا خاصا نطلق عليه اليوم « خدمة عامة » .

وكان الكتبيون والوراقون لا يعينون الا بعد اجراء تحقيق عنهم ، كان يتيح للسلطات الجامعية المختصة التأكد من حسن سيرتهم وكفايتهم المهنية . وكانوا يدفعون تأمينا للجامعة ويحلفون اليمين القانونية أمامها .

وإذا ما تمت اجراءات تعيينهم هذه ، حدد نشاطهم بدقة وجرت مراقبتهم بانتظام أثناء ممارستهم لعملهم . ولم يكن الكتبي بائعا بقدر ما كان وسيطا . وكان يعاد عرض المخطوطات للبيع نظرا لندرتها ، فتنتقل من يد الى يد خلال عدة أجيال من الطلاب والأساتذة . وكانت هذه التجارة في الكتب المستعملة تتم بواسطة الكتبي الذي لم يكن في غالب الأحيان الا وكيلا للبائع ، وكان الكتبي يدفع تأمينا ليضمن قدرته على الوفاء ولم يكن في استطاعته البيع والشراء الا وفقا لبعض الشروط ، فكان عليه أن يعلن للخاص وللعام عن المؤلفات التي عنده . ولم يكن يكافأ على أتعابه الا بعمولة لا تزيد على أربعة دراهم للمجلد ، اذا كان المشتري استاذا أو طالبا في الجامعة ، أو ستة دراهم اذا كان غير جامعي .

وكانت الجامعة تشرف على تداول الكتب وتوزيعها اشرافا ثقافيا واقتصاديا . فحرصت على تحقيق المؤلفات التي لا غنى عنها للأساتذة والطلبة حتى لا تقع فيها أخطاء تغير من معناها . ولكي تتيح الجامعة زيادة عدد النسخ في أفضل الظروف وبدون تحريف للنص مع الحيلولة دون تعسف النساخ ، قامت باعداد نظام بارع لاعارة المخطوطات المحققة بعناية ، والتي تنقل منها النسخ في مقابل أجر محدود . وكان المخطوط « النموذجي » يعاد بعد نسخه الى الوراق الذي كان يقوم حينذاك بتأجيره مرة أخرى . وهكذا أمكن تفادي التحريف الذي يستفحل من نسخة الى أخرى ، بنقل النسخ جميعها من نموذج واحد .



احدى الطرق التي كانت متبعة في تجليد الكتب خلال القرن الخامس عشر .

ولم يكن النموذج – الذي يعيره الوراقون للطلبة الراغبين في نسخه سواء بأنفسهم أو بواسطة الناسخين المحترفين – مؤلفا من مجلد واحد ، بل من عدة كراسات منفصلة ، الأمر الذي يسمح بحجزه أقل وقت ممكن ، ويتيح فرصة نقله أمام عدد من الناسخين في آن واحد . وكانت الجامعات تحدد سعر ايجار هذه الكراسات . ولم يكن في استطاعة الوراقين رفع هذا السعر ، كما كانوا ملزمين بتأجيرها لكل من يطلبها . واذا تبين أن النموذج معيب أوقف تداوله .

ظل هذا النظام لنشر النصوص قائما في الجامعات حتى نهاية العصور الوسطى . وفي اطار هذا التنظيم دخلت المطبعة تحت رعاية السلطات الجامعية في باريس . فالمطبعة كانت في نظر هذه السلطات ، في بداية الأمر ، الوسيلة المريحة لنسخ النصوص التي لا غنى عنها نسخا أسرع وأدق من نظام النسخ اليدوي عن طريق الكراسات .

وعلى أي حال فان مطابع باريس الأولى لم تنشأ لنسخ النصوص الجامعية الهامة بقدر انشائها لنقل النصوص الكلاسيكية القديمة التي اشتد اقبال المثقفين عليها . ويبدو أن نظام النسخ القديم قد غطى بسهولة جميع الحاجات ، وآية ذلك أنه قبل أن تتطور مشاغل النساخ ، في نهاية القرن الثاني عشر وفي النصف الأول من القرن الثالث عشر ، انتشرت النصوص اللاتينية لمؤلفات أرسطو في جميع أنحاء أوروبا ، ووصلت الينا أكثر من ألفي نسخة من هذه المؤلفات التي تعود الى القرنين الثالث عشر والرابع عشر . واذا وضعنا في حسابنا النسخ التي فقدت ، نلاحظ أن الكتاب الواحد كان يمكن أن ينتشر بين الناس بفضل عدد نسخه الخطية . وان كان انتشار الأفكار يتم ببطء في ذلك العصر فان فاعليته كانت أكيدة . ويجدر بنا هنا ألا نغمط دور الذاكرة حقه ، فالتعليم في العصور الوسطى كان قائما أساسا على الحفظ مما كان يقوي الذاكرة وينميها .

ومع ذلك فقد كان من الصعب في أغلب الأحيان جمع الكتب التي يكون الباحث في حاجة اليها اذا أراد أن يسير في بحثه الى نهايته . بيد أنه ينبغي ألا نبالغ في ذكر الصعوبات التي كانت تعترض الباحثين في القرنين الرابع عشر أو الخامس عشر ، ولكن يجب أن نقرر أن النصوص كانت أندر قبل ظهور المطبعة مما أصبحت عليه بعد انتشارها .

والى جانب هذه الوسائل الجديدة التي قامت الجامعات بتنشيطها لنشر الكتب العلمية التي أخذت الحاجة تزداد اليها يوما بعد يوم ، برزت مشكلة جديدة أمام انتاج الكتب التي نسميها اليوم: « الكتب الشعبية » أو « كتب التسلية » . فابتداء من القرن الثالث عشر تكون جمهور جديد نتيجة للتحول الذي أصاب نظام الاقطاع القديم ، وظهر الى جانب الأدباء والنبلاء طبقة متوسطة جديدة قادرة هي الأخرى على التثقف . وأصبح الفقهاء ومستشارو الملوك من العلمانيين وكبار الموظفين والتجار والأغنياء في حاجة الى الكتب ، ليس فقط الكتب التي تعالج تخصصات كل فئة من هذه الفئات ، بل أيضا الكتب الأدبية ، أي التي تشيد بالأخلاق في أسلوب سهل ، وكذلك الروايات والترجمات وغيرها .

لم يكن هذا اللون من الأدب يخاطب رجال الدين ، ولو أن معظمه كان من انتاجهم . وكان يكتب في أغلب الأحيان باللغة العامية . وبدأ هذا الأدب بالشعر ثم بالنثر . وكان عبارة عن اقتباسات من مؤلفات قديمة أو ترجمات وما شابه . ونظرا لاقبال الناس على هذا اللون الجديد من الأدب ظهر تنظيم آخر لانتاج الكتب . ويرجع التأليف باللغة العامية في أوروبا الى ما قبل القرن الثاني عشر ، الا أن ظروف نشر هذا الأدب الجديد كانت مختلفة تماما ، فهو يؤلف لكي يتلى بصوت عال أمام المستمعين الذين لم يكن معظمهم يعرف القراءة . وفي القرنين الحادي عشر والثاني عشر كان الناس في أوروبا يقرأون قليلا باللغة العامية ، الا أن التأليف فيها كان كثيرا . وكان الشعراء المتجولون هم في الغالب مؤلفي القصائد والروايات وقصص حياة أولياء الله الصالحين . وكانوا يقرأونها أو ينشدونها متنقلين من قصر الى قصر .

وأثارت الظروف التي كان هؤلاء الأدباء الأوائل يضطرون أن يمارسوا فيها مهنتهم مشاكل عدة ، فلم يكن في استطاعتهم الادعاء بأي حق للملكية على أعمالهم الأدبية الا اذا احتفظوا بنصوص مؤلفاتهم لأنفسهم . ولكنهم لو فعلوا ذلك لحرموا من التمتع بتلك اللذة التي يشعر بها المؤلف عندما تنتشر مؤلفاته على أوسع نطاق .

وكان المؤلف يوفق بين المطلبين حين يجد نصيرا من بين النبلاء يهدي اليه مؤلفاته

بعد أن يضمنها عبارات المديح والملق له ولأسرته . وإذا لم يعثر على هذا النصير كان يعلم شعراء متجولين آخرين النص الذي ألفه مقابل أجر يتقاضاه أو يبيع لهم نسخا منه .

ومع زيادة عدد القادرين على قراءة النصوص بدلا من الاستماع اليها فقط ، ظهر في نهاية القرن الثالث عشر وخلال القرن الرابع عشر نوع من التخصص ، فأصبح الأديب يكتب مؤلفه دون أن يهتم بمشكلة وصوله الى جمهور المستمعين . وإذا قبل ملك أو أمير أو كبير نسخة فاخرة من كتاب مُهدىً اليه ، ضمن مؤلفه الحصول على مكافأة مادية سخية وعلى سمعة أدبية طيبة تكفل له عيشا كريما مدى الحياة . فالجمهور حين يعلم أن ملكا قبل عملا أدبيا قدم له أو أوصى على هذا العمل ، يسارع الى اقتفاء أثره ويطلب من المؤلف نسخا من هذا العمل : فيكلف المؤلف حينئذ أحد الناسخين بنقل نصه من نسخته الخاصة لقاء أجر . وهكذا يصبح مؤلفا وناشرا في وقت معا .

ولكن هناك مؤلفون أشد حرصا على الحصول على أكبر قدر من الأرباح المادية من مؤلفاتهم ، فاحتفظوا بالمخطوط الأصلي من عملهم الأدبي ليبيعوا نسخا منه . وكانوا ينشئون في أحيان مناسخ خاصة بكتبهم . وكانوا يلجأون في أحيان أخرى الى الكتبي .

وعلى وجه العموم ، وخاصة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، انتشرت عادة البحث عن نصير من أجل ترويج الكتب الجديدة ، الأمر الذي يفسر الفرق الشاسع بين المبلغ الكبير الذي كان يدفعه الملك أو الأمير للمؤلف في مقابل اقتناء النسخة الأولى لعمله الأدبي الجديد وبين الثمن المتناهي في الاعتدال الذي كانت تباع به نسخه الأخرى ، ذلك أن مجموع حقوق التأليف تدخل في « النسخة » الأولى للكتاب ؛ هذه النسخة الوحيدة ، لأن المؤلف لم يكن يملك بعد تقديمها أي حق على كتابه .

وهكذا نجد أن الرعاية الممنوحة للآداب والعلوم والفنون الجميلة كانت تسمح لمؤلفي الكتب بأن يعيشوا على أقلامهم جزئيا على الأقل . وكان ثمن هذه الحماية بطبيعة الحال هو اضطرار المؤلف الى عدم الكتابة فيما قد يضايق راعيه أو نصيره ، والى التخصص كذلك في نوع من الأدب يحتمل أن يرضى عنه جمهور كبير . وكثيرا ما كان يحدث أن يطلب النصير كتابا في موضوع معين من المؤلف .

وإذا ما تم تأليف الكتاب واهداء نسخته الأولى للنصير الذي طلبه أو الذي قبل أن يهدى اليه ، فان عملية نشره بين الجمهور كانت تتم على يد الكتبيين والناسخين المحترفين بمعاونة المؤلف . ولم تكن للأديب أية مصلحة مادية في أن ينتشر كتابه بسرعة لئلا يفلت منه ؛ ولكنه لم يكن يريد بالتأكيد أن يظل مغمورا . فثمة نقطة توازن ينبغي ايجادها بين هاتين المصلحتين المتناقضتين .

الا أن المعلومات قليلة عن تنظيم مهنة بيع الكتب خارج محيط الجامعات . بيد أن الكتبيين المعتمدين من الجامعة كانوا يستطيعون الاتجار بالكتب مع غير الجامعيين ، وفي هذه الحالة لا تطبق عليهم اللوائح الجامعية . ومنذ نهاية القرن الثاني عشر في فرنسا ومنذ أوائل القرن الرابع عشر في انجلترا وجدت مشاغل حقيقية لناسخي الكتب تعمل من أجل انتاج نصوص باللغة العامية لحساب بعض الكتبيين تباع بنفس الشروط التي تباع بها الكتب المطبوعة اليوم.

وقد ازداد الطلب على الكتاب نتيجة لزيادة عدد العملاء . وأدى هذا النشاط الى جعل الناسخين المشتغلين في صناعة الكتاب يعملون على تنظيم انتاجهم واكثاره وزيادة سرعته ما أمكنهم ذلك .

وتوصل القوم في مشاغل النسخ بالأديرة الى شكل معين من التخصص . فكان البعض يتخصص في نسخ النص والآخر في زخرفته . وكان الراهب الذي يشتغل بالنسخ والراهب الذي يشتغل بالزخرفة يعملان جنبا الى جنب وعلى صلة مستمرة . ولكن عندما انتشرت المشاغل العلمانية انفصلت التخصصات بعضها عن بعض ، فنرى مشاغل للنسخ وأخرى للزخرفة وثالثة للخطاطين المتخصصين في كتابة عناوين الفصول. وهكذا تأسست شيئا فشيئا سلاسل انتاج حقيقية يعمل فيها عدد كبير من الصناع ، ولكل عمله المحدد .

وأصبح من النادر أن تقوم مشاغل بتجهيز المادة الأولية . فالرق الذي كان يشترى في العادة وهو خام ، كان يعهد به الى صناع يقومون بترقيقه وحلقه وتبييضه . وعندما تتم كتابة النص ، يقوم كاتب متخصص باضافة عناوين الأبواب والفصول اليه . ويقوم متخصص آخر ، ان لزم الأمر ، بكتابة الحروف الكبيرة المزينة والملونة على رأس كل باب أو فصل ، مما يدل بوضوح على أن العمل كان ينفذ على مراحل .

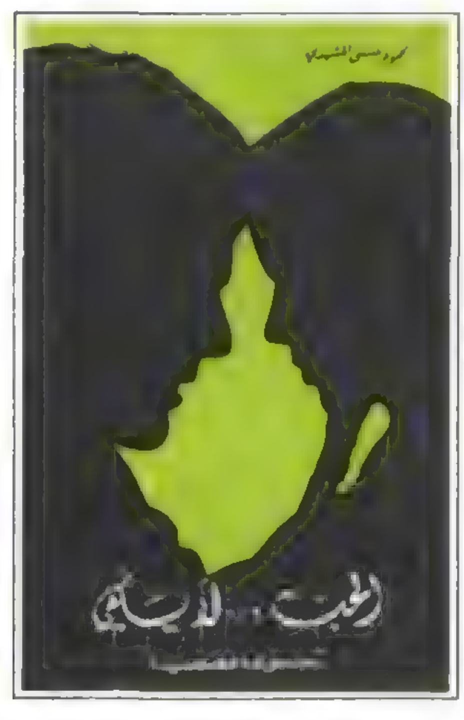
يبقى بعد ذلك ان اقتضى الأمر ، زخرفة المخطوط . ويتميز مشغل المزخرف عن مشغل الناسخ تماما ، وكان هذا الأخير يقوم بكتابة البيانات المتعلقة بالزخرفة الى الفنانين . وكان رئيس الورشة يحدد بالتدقيق المناظر أو الأشخاص التي ينبغي رسمها . وان كان المخطوط عاديا يكتفى برسم « كروكي » سريع بالقلم يساعد الرسامين على تنفيذ الرسم حسب قواعد مدروسة جيدا ومطبقة آلاف المرات . وإذا ما تمت هذه المرحلة يقوم أخصائيون آخرون بتنفيذ الخلفيات المذهبة القاتمة المحلاة برسوم الأغصان أو الرسوم المنقطة أو المربعات .

وأمام تعدد هذه العمليات وتعقيدها كان انجاز الكتاب الفاخر الواحد يتطلب قدرا ضخما من العمل والجهد . ان الكتاب الفاخر تلك التحفة الفنية الحقيقية التي ينظر الناس اليها باعجاب دون أن يقرأوا ما فيها غالبا ، كان يستغرق شهورا بل سنينا من العمل ، ويتكلف أموالا طائلة . ولكن كان يتم في نفس الوقت انتاج كميات من الكتب المزخرفة والمحلاة انتشرت في كل مكان من أوروبا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وكانت في متناول متوسطي الدخل من القراء .

واكتشف مزخرفو الكتب وسائل تقنية أتاحت لهم نسخ أي نموذج عدة مرات . وابتداء من القرن الرابع عشر استخدم صانعو الكتب نوعا من ورق الشف المصنوع من «الراتينج» يسمح بنسخ النموذج كما هو . وكثيرا ما كان المزخرفون ، يسرقون هذه النماذج بعضهم من بعض .

وهكذا اضطر الناسخون أمام زيادة الطلب على الكتاب ابتداء من منتصف القرن الثالث عشر الى تحسين طرق النسخ، فوصلوا في بعض الاحوال الى نوع من الانتاج النمطي الحقيقي . وعلى وجه العموم فان عمل النساخ مهد الطريق أمام عمل الطابعين وهكذا يمكننا أن نلاحظ أن اشتداد الحاجة الى الكتب قبيل ظهور المطبعة ، هذه الحاجة ، التي بدت واضحة عند طبقات اجتماعية ، أخذت تزداد اتساعا يوما بعد يوم ، وخاصة عند الطبقة المتوسطة والمشتغلين بالتجارة ، هذه الطبقة من المجتمع صانعة المبتكرات الصناعية العديدة التي ظهرت في النصف الأول من القرن الخامس عشر . وأن المطبعة التي تعتبر في حد ذاتها تقدما تقنيا ، حدث في أول أمرها ردود أفعال غير متوقعة ، ولكن هذا موضوع آخر يستلزم بحثا قائما بذاته

د. خليل صابات — القاهرة





القصة في أدبنا المحلي

قبل أن أمضي مع الأستاذ المشهدي في أقاصيصه الماتعة أحب أن أقف مع القارئ عند قصة « القصة » ذاتها في « المملكة العربية السعودية » .. فاني أجد النقاد كثيرا ما يتهمون أدب القصة عندنا بالقصور عن ألوان الأدب الأخرى ، كأدب المقال وأدب القصيد ..

ولا أريد أن أدفع هذه التهمة ، ولكني أيضا لا أريد أن أسلم بها تسليما كاملا .. كما لا أريد أيضا أن أسلم بتلك المبررات التي تساق كمقدمات لتلك النتيجة .

ذلك لأن أدب القصة بالذات ، بحسب مفاهيمه الحديثة ، يعتبر لونا جديدا على العالم العربي كله .. لا على المملكة العربية السعودية دون غيرها ..

صحيح أن القصة لازمت البشرية من عصور مغرقة في القدم كأداة للتسلية ، وقضاء الوقت والسمر كلما ضم الليل السمار ..

بيد أن تلك الأقاصيص في شكلها البدائي ، ثم ما تطورت اليه من بعد ، بكل ما تحفل به من حقائق وخرافات وأساطير ، كل تلك الأقاصيص ، تختلف عن مفاهيم القصة الحديثة المكتوبة التي أصبح لها أبعاد .. مهما اختلفت تلك الأبعاد ، من حقبة لأخرى ، أو من بلد لآخر ، أو من مدرسة قصصية لأخرى .

والقصة أدب اختراع ، لا أدب تقرير .. والمخترعون في كل بيئة قلما يتوفرون ..

ان القصة الناجحة انما هي ثمار عبقرية متفتحة .. فالمخترع القاص ، قد يتناول مادة قصته من خامات ميسورة ملقاة في عرض الطريق ، ولكن عبقريته تتجلى في التقاطها من ناحية ، وفي صياغتها من ناحية أخرى .

ما علينا .. فليس هذا موضوع الحديث ، وانما أسوقه هنا ، لأخلص الى حقيقة ، هي أن توفر العبقريات القاصة لا يتيسر في كل آن أو في كل مكان .. ولا أنسى هنا ، أن توفر العبقريات وحده لا يكفي .. فلا بد من توفر البيئة القارئة ، أي لا بد أيضا من جمهور يتقبل تلك العبقريات .

ولقد كان جمهورنا في المملكة العربية السعودية ، في بادئ الأمر ، لا يتقبل القصة الحديثة الا في نطاق ضيق لا يشجع على تخريج القصصيين النابغين .

أما حكاية أن البيئة عندنا تفتقر الى عناصر القصة الناجحة .. فهي حكاية لا أسلم بها . ذلك أن البيئة — مهما تكن ضيقة — تتسع للقصة .. ليس حتما أن أكتب قصة بوليسية في مجتمع لا يعرف العصابات المجرمة ..!

وليس حتما أن أكتب قصة انحراف اذا خلا المجتمع مثلا من ذلك الانحراف ..

ولكن المجال واسع لألوان من القصص تلازم عناصرها البشرية منذ أن كان هناك مجتمع .. انها قصص حياة البشر في كل مكان ، سواء اتسع نطاق البيئة أو ضاق !

وبكلمة موجزة أستطيع أن أقول ، أن أية بيئة تفرض ألوانا من أدب القصة ولكنها ترفض ألوانا أخرى منها . وليس أدل على ذلك من هذه المجموعة من القصص التي اتحدث عنها اليوم ، والتي أعطتني فرصة هذا الحديث .

ان مجتمعنا . وان اتسع عما كان عليه قبل خمسين عاما ، الا أنه لا يزال محتفظا بتقاليده وعاداته ، أو بمعظمها ، ومع ذلك فقد استطاع الأستاذ المشهدي أن يخرج منه بمثل هذه الأقاصيص الناجحة .

ولقد راد طريق القصة عندنا عدد من الرواد ، بقدر ما ملكوا من وسائل ، وبقدر ما وهبوا من مواهب ، وقدموا لنا منها صورا قصيرة أو طويلة .. فلا ينبغي أن ننسى جهدهم . أو نغفل ما قدموا من عطاء .

تأليف الاستاذ محمود عيسى المشهدي
عرض وتعليق الاستاذ عبد العزيز الرفاعي

ولئن لم يبلغ بعضهم مبلغ الجودة والاتقان فقد كان لهم فضل الريادة .. وحسبهم هذا ، كيف وأن بعضهم استطاع أن يقدم لنا قصصا ناجحة ..

ولا يسعني هنا أن أذكر كل من كتب القصة – طويلة أو قصيرة – في المملكة العربية السعودية ولكني أحب أن أسجل بعض ما يتوافد على ذاكرتي الآن من أسماء كدليل على ما ذكرت من محاولات في دنيا القصة والرواية ..

فهناك الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في قصته « التوءمان » ، والأستاذ أحمد السباعي في قصته « فكرة » ، والأستاذ محمد عالم الأفغاني في قصصه القصيرة التي نشر معظمها في مجلة « المنهل » ، والأستاذ أمين سالم رويحي ، والأستاذ غالب أبو الفرج ، والأستاذ محمد مليباري ، والأستاذ ابراهيم الناصر ، والأستاذ ياسين طه ، والأستاذ عزيز ضيا ، والدكتور عصام خوقير .. والأستاذ الراحل حامد دمنهوري والأستاذ محمد علي مغربي ، وهذان من كتاب الرواية أو القصة الطويلة ..

وممن كتب القصة القصيرة بنجاح الأستاذ لقمان يونس ، فقد قرأت له مجموعة « من مكة مع التحيات » ، وقد وفق في التقاط احداثها من البيئة المحلية ، وابرازها بأسلوبه الجميل الساخر .. كما ساهمت المرأة بنصيب مرموق في أدب القصة.

على اني لا أزعم الاطلاع على انتاج كل من كتب القصة السعودية من أصحاب الأسماء التي سردتها ، أو لم أسردها .. ولكنني اطلعت على جوانب منها ، ويسعني بعد هذا الاطلاع أن أقول مطمئنا أن هناك بين ظهرانينا ، من كتب القصة بنجاح ، سواء أكانت قصيرة أو طويلة .. وان كان لا يفوتني أن أقرر أن هؤلاء قلة قليلة !

والحق أن أدب القصة عندنا في حاجة الى دراسة مستوعبة ، تخلص الى حكم سديد منصف لا يتسم بطابع الاستعجال ، الذي كثيرا ما يسبق الى الأحاديث العابرة ، أو المقالات الصحفية العاجلة ، التي لا تتناول الأغوار والأعماق !

هذه المجموعة القصصية الجديدة ، حقيق أن تستقبل من المعنيين بالأدب في هذا البلد بكثير من الحفاوة ، ذلك لأن أدب القصة يعتبر قليل الظهور بين ألوان الأدب السعودي ، فقلما يلمع منه بصيص ، بالرغم من كل ما صدر في هذا الباب من مجموعات قصصية أو روايات طويلة ..

وصاحب هذه القصة – الأستاذ محمود عيسى المشهدي – ليس جديدا على دنيا القصة ، فقد أصدر قبل هذه المجموعة قصة اجتماعية طويلة عام ١٣٧٨هـ بعنوان « ابتسام » .. ولديه مجموعات قصصية أخرى جاهزة ينتظر أن تأخذ طريقها الى النشر .

وتقع هذه المجموعة القصصية الجديدة في ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط ، في ورق أبيض نقي جيد ذات غلاف فني ملون جميل ..

وبالنسبة لي ، تعتبر هذه المجموعة ، هي أول ما أقرأه من انتاج الأستاذ المشهدي .. أي أنه لا يسعني أن أقارن بين هذه المجموعة ، وما سبق أن أصدره الأستاذ المشهدي في عالم القصة ، ولا أن أتحدث عن مدى الخطوات التي قطعها في هذا السبيل الفني !

على أنه يسعني أن أقارنها ببعض ما قرأت من قصص محلية .. وبهذا أستطيع أن أضعها مطمئنا في مستوى أرفع ما قرأت .. بل هي عندي ، لا تقل من حيث الحبكة ، والقدرة على التقاط الحادثة وصياغتها ، عن الجيد مما قرأت في عالم القصة الحديثة ..

ولقد وجدت الأستاذ المشهدي ينطلق في قصصه من قاعدة منهجية ، فهو لا تستهويه القصة للقصة .. ولكنه يضع من وراء كل قصة هدفا .. وقد عبر عن هذه المنهجية معالي الشيخ حسن عبدالله آل الشيخ ، وزير المعارف ، في مقدمته لها حينما قال :

« .. ولقد عشت معه من خلالها ساعات اتنقل من قصة الى أخرى ، فألتقي في كل قصة بمقومات عدة .. فهي تمتاز بالأسلوب المرن الذي يخلو من التكلف .. وتعالج في وضوح العديد من مشاكلنا الاجتماعية . . »

ومما يرفع من قيمة هذه المنهجية التي أتحدث عنها ، أنها تنبع من البيئة المحلية ، وتعيش فيها أو تخدمها بأهدافها ، في الوقت الذي نصور جوانب منها .

بيد أن منهجية الأستاذ المشهدي ، لم تطغ على فنيته ، فلم يتحول أسلوب السرد الفني الى وعظ جاف .. بل لقد استطاع الأستاذ المشهدي أن يلازم تلك الفنية في جميع قصص هذه المجموعة الا في أحايين قليلة .

تضم المجموعة احدى عشرة قصة ، الأخيرة منها هي التي تحمل عنوان « الحب .. لا يكفي » وهي التي أطلق اسمها على المجموعة كلها .

ولقد خرج الأستاذ المشهدي في هذه القصة عن الأسلوب التقليدي في السرد القصصي ، فاختار لها مقدمة تقريرية .. « عدد الذين يحملون شهادات عالية في بلدي قليل جدا .. وأكثرهم يعودون من الخـــارج مصحوبين بزوجات أجنبيات وبقدر كبير من عوجة اللسان .. أما البعض الآخر فانه يضرب عن الزواج بحجة عدم وجود فتيات متعلمات في وطنه يتناسبن ومركز الزوج الثقافي والاجتماعي !!

ولذلك تكون سعيدة ومحظوظة .. تلك الفتاة التي يطرق باب أهلها يوما ما شاب جامعي مثقف يطلب الزواج منها .. !

ولقد كنت أنا واحدة من تلك الفتيات المحظوظات .. »

ثم يمضي الأستاذ القاص في سرد القصة فيستعيد أسلوبه المعتاد .. ولعل الأستاذ المشهدي ، أراد ، حينما قلب الوضع ، فقدم النتيجة ، وأخّر المقدمات أن يجدد في طريقة التناول الفني ..

والواقع أن القاعدة الاجتماعية التي استهل به قصته من الأهمية في مجتمعنا بحيث تستحق هذا التقديم ، ولكني لا أحبذ هذا الأسلوب ، فهو قلما يغري القارئ على تناول القصة ومتابعتها .

ولعل من العجيب أن تأتي هذه القصة التي تحمل اسم الكتاب ، في مؤخرته .. اذ أن اختيارها عنوانا له ، يدل على حفاوة المؤلف بها ، وايثاره لها ، وكان حقها التقديم ، لهذه الاعتبارات .. الا أن يكون الأستاذ المشهدي ، قد اختار روعة الختام ، أو براعة القفلة .. محل براعة الاستهلال .

على أية حال ، فالقصة من وجهة نظري ، ليست خير قصص المجموعة ، ولكنها أكثر تعبيرا عن مشكلة اجتماعية خطيرة .. هي مشكلة اختلاف المستويات الثقافية . خاصة بين الرجل والمرأة .. وهي مشكلة كانت أكثر حدة في الفترة الزمنية القريبة الماضية .. حينما كان التفاوت كبيرا بين الشاب الذي يصل في تعليمه الى المستوى الجامعي وما فوقه ، ويتخرج من جامعات غربية ، ويتشرب حب بعض العادات والتقاليد ، أو ينتحي منحى فكريا معينا ، وبين الفتاة التي كان نصيبها من الدراسة ضئيلا ..

حقا ان هذا التفاوت أخذ يقل ويتلاشى .. ولكن طرفا من المشكلة لا يزال قائما ، وهو ما عالجه ، أو أبرزه الأستاذ القاص .

لقد تحدث عن مشكلة أعمق من ذلك التفاوت الثقافي .. أنها مشكلة الافتتان بالمظاهر الغربية ..

تحدث عنها في كلمات قلائل ، ولكنها معبرة :

« و ... حتى زوجات أصدقائه اللاتي كن يزرنني في فترات متباعدة ، راح يطالبني بعدم رد الزيارة لهن ، وبقطع كل صلة لي بهن ..! »

« واحترت كيف أعلل طلبه الغريب هذا سوى أنه يخشى أن يشمت فيه أصدقاؤه اذا ما عرفوا عن طريق زوجاتهم أنه تزوج بامرأة جاهلة مثلي ، لا تعرف كيف (تعوج) لسانها كنسائهم . »

وفي الحوار الذي دار بين الأب المسكين والزوج « المودرن » .. يقول الزوج مبررا رغبته في انهاء علاقته الزوجية بالفتاة الساذجة الطيبة .. ومن الأفضل أن أورد هنا جانبا من الحوار ، كما صاغه الأستاذ المشهدي . :

« ... قال له أبي وهو يحاول أن يبدو رقيقا بعض الشيء حفاظا على مستقبلي :

ـ هل أعرف السبب ؟

فقال له زوجي ، وهو يضع ساقا على ساق علامة الغطرسة والعنجهية . وقد أمسك « بغليونه » المزركش الكبير .

ـ لأن ابنتك جاهلة ! .. نعم .. لأنها جاهلة »

ان هذه القصة مأساة اجتماعية حقا .. أبرزها الأستاذ المشهدي ، بنجاح ظاهر ..

ولكن .. هل لي أن أقف لحظة عند هذا « الحب الذي لا يكفي » .. أي حب هو ؟

هل كان هناك حب حقا بين الزوجين ؟

لو كان هناك حب حقيقي بينهما ، بل لو كان الزوج الشاب قد ضم جوانحه على شيء من الحب ، لما تصرف على هذا النحو الذي فعل .. ان الحب يفعل الأعاجيب وكان حريا أن يدفع الزوج الشاب الى استغلال رغبة زوجته في التعليم ، ليأخذ بيدها رويدا رويدا الى المستوى الذي يريد .. ليس حتما أن يجعلها في المستوى الجامعي ، ولكنه يستطيع أن يصل بها الى مستوى معقول .. أي أنني أعتقد أن « الحب يكفي » ما دام الجانب الآخر متجاوبا ، يبادله المشاعر ذاتها ..

وكما عالجت القصة الأخيرة : مشكلة الشاب « المتعلم » الذي يتزوج من فتاة « جاهلة » ، أو الفروق التي تخلقها اختلاف بيئتين ، بيئة مستحدثة يحملها معه أحيانا الشباب العائد من الخارج ، وبيئة محلية تحتفظ بخاماتها !



كما فعل ذلك .. عالج في قصته الأولى ، اختلاف السن بين الزوج والزوجة .. كهل يتزوج فتاة صغيرة فيلتقي الخريف المصوّح الذابل ، بالربيع المتفتح المزدهر .. وذلك في قصته الأولى « الأخت الوسطى » .. وهي تمس برفق ظاهرة « الخجل » عند العذارى ، تلك الظاهرة التي قد تحول أحيانا دون أن تبدي الفتاة حقيقة رأيها في خطيبها عند استئذانها .. بيد أن هذه الظاهرة أخذت « تخف » بعد أن وعت الفتيات ، خطورة الموقف ، وأن معنى الصمت هو تحويل هام جدا في حياتها ومستقبلها !

ومن صميم حياتنا الاجتماعية أيضا نبعت قصة « قلب الأم » .

وكما يلتقط الأستاذ المشهدي احداث قصصه من واقعنا المعاش ، كذلك يلتقط أبطال أحداثه من المجتمع المحلي ..

فهو اذا وصف الشاب « المودرن » صاحب « الغليون » المزركش ، والفم الأعوج ، في قصته « الحب لا يكفي » .. يصف أيضا الأب ، الذي لم تتطور عقليته مع العصر الى الحد الذي قد لا يمس من صميم دينه وخلقه ، وذلك في قصته « الأخت الوسطى » .

وهو يفعل ذلك في قصته « قلب الأم » .. فان ظاهرة الابتعاث الى الخارج ، من أجل الحصول على العلوم الحديثة ، وتطوير نهضتنا — هذه الظاهرة ، تسود مجتمعنا ، وتدخل الكثير من بيوتنا ، تتداول أيامها بين الناس .. ويكمن وراءها الكثير من الصراعات ، من أبرزها صراع الأم — خاصة التي لم تذق حلاوة التعليم — مع عواطفها عندما تقف لحظة حاسمة في حياتها .. هي اللحظة ، التي يقرر ابنها فيها السفر من أجل العلم .. انها غربة طويلة لا تدري ما تفعل الأيام خلالها بهذا الابن العزيز الوحيد .. وهي التي لم تفارقه قط .. وهي التي أحاطته بسياج من حنانها الذي لم يفتر قط .. !

انها لون من حياة المجتمع لم يفت الأستاذ المشهدي أن يصوره في قصته « قلب الأم » .

وهذه القصة تصويرية ، أي تعتمد على الصورة ، لا الحادثة .. أو هي تعتمد على الحادثة « البسيطة » . وبتعبير آخر ، انها تصوير لموقف معين في لحظة ما .. ويجوز أن أطلق عليها وصف المقال القصصي ..

فقد كانت « الحركة » في هذه القصة خافتة .. كان هناك شيء واحد يتحرك بشدة ، يخفق بعنف ، هو « قلب الأم » وعندي أن هذه الحركة كافية لكي تكسب هذه القصة وميض الحياة !

وهذه القصة ، والقصة التي تليها « الوهم الكبير » تبرزان براعة المؤلف في أن يجعل للأحداث الصغيرة ، قدرة على المشي بقدمين ثابتتين ..

يبدو أن قصة « الوهم الكبير » أكثر حيوية ، فبالرغم من أنها مجرد « صورة » لأحد الوارثين من أبناء العز الذين جار عليهم الزمان ، فرأى أن يظل محتفظا بمظهره وأناقته ، مهما كانت فاقته وحاجته .. وأن عاش على فتات الغير — بالرغم من ذلك ، فقد أحسست بشيء من الضجيج في القصة .. فهذا الرجل لا يتحرك بهدوء .. فهو طويل ، عريض ، وسيم ، أنيق .. يحتفظ بسمت خاص أصبح نشازا في المدينة التي هبط اليها .. يستلفت فضول شاب صحفي ، فيقتفي آثاره لعله يفوز بحديث صحفي دسم لصحيفته .. ثم تحدث المفاجأة ، حينما تمتد يد ذلك الرجل الغريب باناء معدني كان يحكم اخفاءه في عباءته الفضفاضة ، لكي يحصل به على طعام وأرغفة من رجل عجوز .. دأبه الاحسان الى الفقراء .. ومع ذلك فقد رجع الرجل أدراجه محتفظا بمشيته المستعلية وقامته المنصوبة ..

صور متلاحقة .. تقدم هذا الرجل في شريط عجيب لا يكاد يكف عن الحركة ..

بيد أنه كان هناك في تلك الصور شيء نشاز ، هو أن يكون لذلك الرجل الأنيق ذي العباءة واللحية ، الخ .. أن يكون له « مونوكل » .. أي تلك النظارة ذات العدسة الوحيدة التي كان يضعها على احدى عينيه .. ليت هذه النظارة لم تكن اذن لكانت الصورة أكثر انسجاما مع الواقع .. الا أن يكون الأستاذ المشهدي قد التقط صورة هذا الرجل من النوادر في الواقع كما هي ، بما فيها هذه النظارة ؟ ! .

مهما يكن الأمر ، فقد كنت أمام قصة بارعة ! ..

وقصة « المعجزة » تعطي في ختامها معجزة غير متوقعة ..

طفلان : فتى وفتاة .. نشآ معا صغيرين ، ثم كبرا .. فاحتجبت الفتاة .. وان ظل يربطهما الشوق البريء .. ولكن الأبوين تشاجرا ، وانفصلت شركتهما ، وتباعدا بعد أن كانا متقاربين ..

وكادت الفتاة أن تزف الى رجل آخر .. لم يبق على موعد الزفاف الا ليلة واحدة فقط .. ثم وقعت المعجزة .. وقعت بعد منتصف الليل .. حينما طرق الفتى المحب الباب مؤكدا خطبته لفتاته ، واستجاب الوالد .. ألم أقل أنها معجزة حقا؟

لقد هزتني هذه القصة .. ربما لهذه الخاتمة التي تميل اليها النفوس عادة .. المحبان يتزوجان .. وربما لطريقة السرد التي وفق اليها المؤلف أيضا ، ولطريقة التناول .. والا فالقصة هنا .. هي تلك القصة المألوفة ، محبان يفترقان .. أو محبان يلتقيان .. ولكن القاص البارع ، يفعم هذه القصة بالحياة ليجعل فيها لونا جديدا من التناول .. أو ليعطيها شخصية خاصة نابعة من ذاتيته هو ..

وودت حقا ، لو خلص الأستاذ المشهدي الى النهاية التي أرادها بشيء من التمهيد .. يدفع عنا هذه المباغتة .. ولكنه أرادها معجزة تقع بلا مقدمات .. ثم لعله أشفق على عواطف القراء فوضع النهاية السارة ، ورحم قيسا فلم يشتته في البوادي !

وقصة « دموع » قصة مؤثرة جدا .. مؤثرة في سردها ، وفي الظروف المركبة التي أحاطها بها المؤلف .. قصة طفل فقد أباه ليلة العيد ، ثم لم يدرك هذه الحقيقة المريرة الا بعد أن ذهبوا بأبيه الى مثواه ..

القصة أيضا قصة تصويرية ، تعتمد على الأسلوب المثير ، أكثر من اعتمادها على الحركة الداخلية للأحداث ..

وبين مجموعة هذه القصص ، قصتان انسانيتان ، استطاع الأستاذ المشهدي أن يصل فيهما الى قمة فنه القصصي ، فقد التقط صورة كل منهما ببراعة ثم أدار الحادثة بكثير من الاتقان .. بأسلوبه الشائق الجميل ..

نبعت القصتان من سواد الناس .. من الساعين في دأب عجيب وراء لقمة عيش لا تكاد تصل الى الفم الا بكثير من العرق والجهد ..

بطل قصة « هدية العيد » هو « عم صالح » بائع « الجبنة » ، الذي يعلن عنها للأطفال بصوت منغم وبطريقة ملفتة للأسماع .. مدرة للعاب ..

« عم صالح » أظله يوم العيد .. وضغطت عليه زوجته وأطفاله ليشتري لهم خروف العيد .. مرة واحدة في العمر .. وطافت بعم صالح وساوس الشيطان ، ليسرق خروفا ، ولكن كرامته أبت .. وحاول عم صالح أن يستعير خروفا يذهب به الى الدار ، ليشنف اذن زوجته وأطفاله بصوته الموسيقي .. ولو الى حين .. ولكن هذه المحاولة أخفقت .. وعاد عم صالح الى بيته تغمره الكآبة .. ليجد .. ليجد ماذا ؟ ليجد خروفا هناك .. قدمه محسن مجهول .. لم لا ؟ فالدنيا بخير ..

والقصة الانسانية « الريال الفضة » هي قصة « عم حمزة » بائع « المطبق » . . الرجل الجاد الطيب الذي لا يعرف الا عمله ودكانه .. حتى كان ذلك اليوم الذي خرج فيه على غير عادته ليتفرج على الميناء الجديدة .. وهناك شاهد صبيا صغيرا في التاسعة من عمره ، ضئيلا هزيلا ، يلقي الناس المجتمعون بقطع معدنية من النقود في البحر ليغوص وراءها ويأخذها !

وحاول العم حمزة أن ينقذ الصبي من هذه المغامرات الخطيرة ، بأن دعاه الى دكانه ، لكي يتبناه ، ويشمله بقلبه الانساني الكبير ، وأخرج له ريالا فضيا ليكف عن مغامرته ، وليأوي اليه ..

ولكن الصبي رفض أن يقبل الريال الا أن يلقي به العم حمزة الى الماء .. لقد تعود أن يلتقط رزقه من هذا البحر .. وتعود أن يأخذه بكرامة .

وألقى العم حمزة بالريال ، وألقى الصبي بنفسه .. ولكنه هذه المرة لم يعد .. وجن جنون العم « حمزة » فألقى هو الآخر بنفسه الى الماء لينقذ الصبي .. ولكن أسماك القرش كانت في انتظاره .. فابتلعته .. أما الصبي الصغير .. فقد خرج بعد قليل يشد قبضته على الريال ..

لقد شوّهت القصتين البديعتين بهذا التلخيص السريع .. ولكن حسبي أن أقول أنهما قصتان مفعمتان بالحيوية ، والحركة والاتقان على أن قصة « الريال الفضة » تبلغ الشأن الأكبر في المجموعة كلها !

وظاهرة تدليل الأبناء ، التي قلما يخلو منها مجتمع ، وان كانت عندنا أكثر ظهورا ، لتخلف الادراك الصحيح لحقائق التربية الصحيحة نتيجة لتخلف الثقافة العامة .. خاصة عند النصف الثاني من المجتمع ..

هذه الظاهرة عالجها الأستاذ المشهدي في قصته « ضحية حب » .. وهي أيضا من القصص التصويرية .. ولكن مصدر التدليل هنا ليس الأم انما الأب ، وضحيته الابن الوحيد .. وتنتهي القصة — طبعا — الى مأساة .. حينما خسر الأب أمواله .. وكان قبلها قد خسر ابنه :. الذي لم يسلحه بسلاح العلم لمواجهة الحياة الضارية .. القصة مألوفة في مسرح الحياة تقع كل يوم .. تمنيت لو أعطاها المؤلف شيئا من الجدة وأكسبها بعض الحركة ..

وتسير قصة « امرأة للبيع » في الطريق ذاته ، الا أنها تحمل بعض الوميض ..

قصة الفتاة التي « يبيعها » أبوها لرجل ثري مهما علت سنه ، هي أيضا قصة مألوفة .. ولكن الأب هنا رجل « دلال » أي أن مهنته هي « البيع » ، وتزوج ، بعد وفاة زوجته « ام الفتاة » بامرأة تمتهن مهنة « الخاطبة » أي أنها تتصل بمهنة تشبه مهنة الدلالة .. وقد تخلصت من الفتاة « ببيعها » الى الرجل الثري ، وقبضت تلقاء ذلك مبلغا مغريا ..

ان الوميض هنا ، هو هذا « الدلاّل » وهذه الخاطبة .. فقد خرج بالقصة عن سيرها التقليدي وأكسبها شيئا من الحيوية ..

وقصة « قشرة الموز » حملت شيئا من المبالغة في التصوير .. انها قصة شاب مصاب بعقدة الموت .. أو الخوف من الموت .. كان يتقيه أو يتقي أسبابه بوسائل ساذجة شاذة .. فماذا كانت النتيجة ؟ لقد انزلجت قدمه على قشرة موز فكانت القاضية .. انها مأساة مضحكة .. اذا صح أن تكون المأساة مضحكة .. ولكن شر البلية ما يضحك ، كما يقولون ..

من هذا العرض لقصص المجموعة يتجلى أن الأستاذ القاص كان هادفا جدا في أقاصيصه .. هذا من ناحية المحتوى .. أما الهيكل .. فالبناء ، أو طريقة التناول كانت محكمة .. كان يرتب احداثه بمهارة .. قلما تخطئ ..

والأسلوب .. هو الآخر كان جميلا ، وان جنح في أحيان نادرة الى طريقة تقريرية أو الى الأسلوب المكتبي ان صح هذا التعبير .. فلم تعجبني كلمة « لذلك » التي تكررت مرتين في ص ١٣ .. أو مثل هذه الفقرة (ص ١١٧) :

« ولم تطل فترة الخطوبة لأن العريس كان مستعجلا ويريد اتمام الزفاف في أقصر مدة ممكنة حتى يلحق بوظيفته في الرياض ! »

يستعمل الأستاذ القاص ، أحيانا بعض الكلمات العامية بينما نجد له مندوحة باستعمال أصولها الفصحى أو باضافة هذه الى تلك .. مثلا كلمة « الغطاريف » (ص ١١) كان يسعه أن يضع بدلها ، وهو مطمئن ، كلمة « الزغاريد » فقـد أصبحت مفهومة معلومة ..

بيد أن مثل هذه الملاحظات من الندرة ، بحيث لا تنتقص بحال من الأحوال ، من الأسلوب الفني الذي يسود معظم القصص !

أستطيع أن أقول في ثقة أن الأستاذ المشهدي دفع بمستوى القصة القصيرة عندنا خطوة نحو الأمام ■

عبد العزيز الرفاعي — الرياض

أخبار الكتب

* من كتب التراث التي صدرت أخيرا « كتاب المنازل والديار » لمجد الدولة الأمير أسامة بن مرشد ابن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني ، وقد حققه الأستاذ زهير الشاويش ونشره المكتب الاسلامي للطباعة والنشر بيروت ، و « طبقات المفسرين » للداودي وقد صدر في جزءين بتحقيق الأستاذ علي محمد عمر عن مكتبة وهبه ، و « أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك » لخير الدين التونسي وقد حققه الأستاذ المنصف الشنوفي وصدر عن الدار التونسية للنشر ، و « شاعرات العرب » من جمع وتحقيق الأستاذ عبد البديع صقر ونشر المكتب الاسلامي . وصدر الجزءان الأول والثاني من كتاب « أدب القاضي » لأبي الحسن الماوردي وقد حققه الأستاذ محي هلال السرحان ونشره ديوان الأوقاف العراقية ، والجزء الثاني من « الفتوحات المكية » لابن عربي وقد حققه الدكتور عثمان يحيى وراجعه الدكتور ابراهيم بيومي مدكور وصدر عن الهيئة العامة للكتاب .

ومن كتب التراث التي حققت أخيرا كتاب « شعر عروة بن أحمر الباهلي » وقد جمعه وحققه الدكتور حسين عطوان ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق . وظهر الجزءان الخامس عشر والسادس عشر من كتاب « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لابن تغري بردى ، وقد حقق أولهما الدكتور ابراهيم علي طرخان وراجعه المرحوم الدكتور محمد مصطفى زيادة وحقق الثاني المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال والأستاذ فهيم محمد شلتوت . وصدر الجزءان عن الهيئة العامة للكتاب .

* من الكتب الجغرافية التي نشرت مؤخرا صدرت هذه المجموعة: « جغرافية شبه جزيرة العرب: دراسة جغرافية عامة » و « جغرافية شبه جزيرة العرب : المملكة العربية السعودية » و « جغرافية شبه جزيرة العرب : جغرافية اليمن » والكتب الثلاثة من تأليف الدكتور محمود طه أبو العلا ونشر مؤسسة سجل العرب . كما صدر كتاب « جغرافية المدن » في طبعة ثانية وهو من تأليف الدكتور جمال حمدان ونشر عالم الكتب ، وكتاب « من ملامح وادي الفرات في القديم والحديث » للمحامي الأستاذ عبد القادر عياش ونشر مطابع دير الزور .

* في الدراسات الأدبية صدرت الكتب الآتية : « مدرسة الأستاذ الامام وأثرها في اللغة والأدب » للدكتور أحمد الشرباصي عن مطبعة الرسالة ، و « قراءات معاصرة : دراسات ، مراجعات ، نقد » للأستاذ محمد العامر الرميح وهو من منشورات مجلة الأديب ، و « المكونات الأولى للثقافة العربية » للدكتور عز الدين اسماعيل وقد نشرته وزارة الاعلام العراقية ، و « في الأدب وفنونه » للأستاذ علي أبو ملحم وقد صدر عن المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، و « مقالات في النقد الأدبي » وهو دراسات نقدية للآثار الأدبية والشعرية للأديب العراقي الأستاذ هلال ناجي . وقد صدر عن مجلة الورود بيروت . و « الأدب التكاملي » للأستاذ عبد الجبار داود البصري ، و « أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث » للأستاذ مير بصري والكتابان من نشر وزارة الأعلام العراقية .

* من الدراسات الدينية النفسية التي صدرت أخيرا كتاب « الاسلام في مواجهة العصر وتحدياته » من تأليف العلامة المجتهد عبد الكريم الخطيب وفيه رد على دعوات الإلحاد وتأكيد المبادىء الدينية والخلقية . وقد نشرته دار الفكر العربي .

ومن الكتب الدينية الأخرى التي صدرت « عودة الى الاسلام » للدكتور أحمد الشرباصي وقد صدر عن دار الجمهورية ، و « الاسلام والشباب » للأستاذ أحمد حسين ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « من دلائل النبوة : ويسألونك عن ذي القرنين » للشيخ أحمد حسن الباقوري وقد صدر عن دار الشعب ، و « الاسلام والعصر » للدكتور عبد العزيز كامل وقد صدر في سلسلة « إقرأ » لدار المعارف ، و « الموسوعة في سماحة الاسلام » وهو في جزءين من تأليف الأستاذ محمد الصادق عرجون ونشر مؤسسة سجل العرب ، و « الصيام: فضائله وأحكامه » للأستاذ عبد الفتاح القاضي وتقديم الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ونشر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

* كتب جديدة في علم النفس أضيفت أخيرا الى المكتبة العربية منها: « التفكير : دراسات نفسية » للدكتورين سيد أحمد عثمان وفؤاد عبد اللطيف أبو حطب ونشر مكتبة الأنجلو المصرية، و « حوادث العمل في ضوء علم النفس » للأستاذ عباس محمود عوض ونشر دار المعارف .

* صدر كتابان تذكاريان لأديبين عراقيين راحلين والكتابان هما : « ذكرى يوسف يعقوب مسكوني ١٩٠٣ – ١٩٧١ » وقد أصدرته لجنة التأبين وطبع في المطبعة الجامعية ببغداد ، و « توفيق الفكيكي: دراسات ونصوص ١٩٠٠ – ١٩٦٩ » وقد صنفه الأستاذ عبد الله الجبوري وصدر عن مطبعة الارشاد ببغداد . كما يصدر قريبا كتاب تذكاري عن فقيد الضاد الدكتور زكي المحاسني لأعلام الأدب من معاصريه .

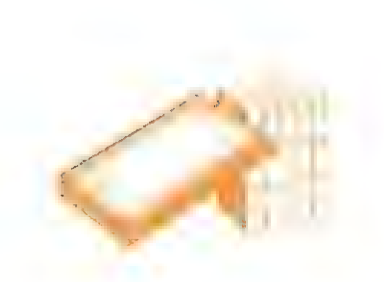
* ومن كتب السير التي ظهرت أخيرا « أحمد أمين: حياته وأدبه » للأستاذ عامر العقاد وقد صدر عن المكتبة العصرية للطباعة والنشر في بيروت، و « أنطوان لا فوازييه » للأستاذ أحمد سعيد الدمرداش وقد صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب . كما صدر الجزء الأول من كتاب « لا مذكرات » للمفكر الفرنسي المعاصر أندريه مالرو وقد ترجمه الأستاذ فؤاد حداد ونشرته الهيئة العامة للكتاب وهو ترجمة ذاتية لهذا المفكر الذي شغل منصب وزير الثقافة الفرنسية في حكومة ديغول .

ويصدر قريبا كتابان من كتب السير هما « سلمان الفارسي » للعلامة الدكتور حسين مجيب المصري ، و « أبو العتاهية » للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي .

* صدر للأستاذ موسى صبري كتاب جديد عن الصحافة من واقع التجربة العملية بعنوان « الصحافة الملونة » ونشر في سلسلة كتاب أخبار اليوم .

* من الدواوين الشعرية الجديدة التي ظهرت مؤخرا « نواح المزرعة » وهو الجزء الثالث من الديوان الكبير للشاعر المهجري الدكتور سليمان داود وفيه شعره في رثاء زوجته وأصدقائه . وقد نشرته دار الريحاني بيروت ، و « أزاهير » وهو الديوان الثالث للشاعر السعودي الأستاذ محمد بن علي السنوسي وقد طبع في بيروت ، و « قراءة ثامنة » للشاعر العراقي الدبلوماسي الأستاذ حميد سعيد وقد صدر عن دار الآداب ، و « حوار عبر الأبعاد الثلاثة » للشاعر الأستاذ بلند الحيدري طبع بيروت ، و « الوقوف في المحطات التي فارقها القطار » للشاعر زكي الجابر وقد صدر عن وزارة الاعلام العراقية ، و « سندباد » مسرحية شعرية للأستاذ شوقي خميس صدرت عن الهيئة العامة للكتاب .

كما صدر عن المكتب الاسلامي للطباعة والنشر في بيروت ديوانان محققان هما « ديوان عنترة »



وقد حققه الأستاذ محمد سعيد مولوي عن ست نسخ مخطوطة، و« ديوان ذي الرمة » وقد حققه الأستاذ مطيع ببيلي .

وأصدر شاعر العراق الأستاذ حافظ جميل ديوانه الثالث بعنوان « أحلام الدوالي » وهو من شعر الوجدان الذي تميز به هذا الشاعر المجلي . كما صدرت للشاعر المهندس الأستاذ محمد البرعي مجموعة شعرية عنوانها « دموع وشموع » نشرتها دار المعارف . ومن الدواوين الأخرى « حبي الكبير » للسيدة أسمى طوبى وقد نشرته دار العودة ببيروت ، و « آلام الزمن المعتم » للشاعر فيصل السعيد وقد نشرته جمعية المعلمين الكويتية ، و « العيون المحترقة » للشاعر الأستاذ فاروق شوشة وقد صدر عن دار الآداب ، و « وحي الضمير » للشاعر محمد الشعبوني وقد صدر عن الدار التونسية .

* « ذخائر أخبار أصفهان » لأبي نعيم أحمد ابن عبد الله الأصفهاني صدر في جزءين عن مؤسسة انتشارات جهان للطباعة في ايران .

* ترجم الدكتوران باهور لبيب وصوفي حسن أبو طالب التشريعات المصرية القديمة المعروفة باسم « تشريع حور محب » ونشرت الكتاب الهيئة العامة للكتاب .

* ومن كتب القانون الجديد التي صدرت : « القانون الدولي العام » لتونكين وترجمة الأستاذ أحمد رضا ومراجعة الدكتور عز الدين فودة ونشر الهيئة العامة للكتاب ، و « القضاء والقضاة » للأستاذ شهير أرسلان نشر الشام .

* أصدر الأديب الأردني الأستاذ عيسى الناعوري كتابا عن « اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر منذ تأسيسها الى اليوم » وقد نشرته وزارة التربية والتعليم . ومما يذكر أن النية تتجه الى انشاء مجمع علمي أردني تكون لجنة التعريب نواته .

* صدرت طبعة ثالثة من كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام وعصر الجاهلية » للدكتور نشأة جفتاي ونشرته مطبعة جامعة أنقره .

* صدرت للأديب الكبير الأستاذ ابراهيم المصري مجموعة قصصية جديدة ، عنوانها « أغلال القلب » نشرتها دار المعارف في سلسلة اقرأ .

وفي الأدب الروائي صدرت رواية « الحبل » للأستاذ اسماعيل فهد اسماعيل عن دار العودة ، ورواية « القتيلة الثالثة » لأجاثا كريستي ترجمة الأستاذ صلاح الدين طنطاوي ونشر دار الكتاب الجديد ■

كتب مهداة

حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بالمؤلفات التالية :

* « كتاب العروض » تأليف أبي الفتح عثمان ابن جني وتحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود ، الأستاذ المساعد بكلية الآداب في جامعة الرياض .. ويتناول هذا الكتاب شرحا وافيا لبحور الشعر وتفعيلاتها مع الحرص على ضبط النص وتخريج الأشعار في مختلف الكتب والدواوين .. وقد ذيل المؤلف الكتاب بفهارس مفصلة لمحتوياته وللشعر والشعراء الذين وردت أسماؤهم في المتن والشرح . وقد طبع بطريقة « مونوفوتو » على مطابع دار القلم في بيروت .

* « شعر الدعوة الاسلامية في العصر الأموي » وهو بحث جمعه وحققه ووثقه وشرح غريبه وترجم لأعلامه ووضع فهارسه الطالبان : عبد العزيز محمد الزير ، ومحمد بن عبد الله الأطرم لنيل الشهادة العالية من كلية اللغة العربية بالرياض . وقد صدر البحث الذي نال درجة الامتياز ، باشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا . وتولت طبعه الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية ضمن مشروع « موسوعة أدب الدعوة الاسلامية » .. ويقع البحث في ٥١٠ صفحات من الورق الصقيل ومقسم الى سبعة أبواب.

* « شعر الدعوة الاسلامية في العصر العباسي الثاني» وهو البحث الرابع الذي صدر ضمن مشروع « موسوعة أدب الدعوة الاسلامية» الذي ترعاه وتتعهده الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية بالرياض .. وقد جمعه وحققه ووثقه وشرح غريبه وترجم لأعلامه وصنع فهارسه الطالب بكلية اللغة العربية عائض بنية الردادي .. وقد قدم هذا البحث لنيل الشهادة العالية من الكلية المذكورة .. وصدر باشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، ويقع في نحو ٢٩٣ صفحة من الورق الصقيل ..

* « أضواء على الصحافة التونسية » للأستاذ عمر ابن قفصية ، وهو كتاب قيم يتناول تاريخ نشأة الصحافة التونسية وتطورها مع ذكر أسماء الجرائد والصحف اليومية البارزة وتاريخ صدورها وأسماء مديريها ..

والكتاب مذيل بفهرس مرتب وبالمراجع الأساسية التي اعتمدها المؤلف في اعداده .. وقد صدر عن دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع في تونس .

* « مصرع غرناطة » ، مسرحية شعرية من أربعة فصول للشاعر الكبير عدنان مردم بك الذي منح مؤخر لقب « بروفسور » من قبل الجمعية الاستشارية العالمية المنبثقة عن منظمة اليونسكو لأسبوع الكتاب الصوفي العالمي على مسرحيته « رابعة العدوية » التي نالت الجائزة الثالثة من جوائز الكتاب الصوفي العالمي ..

وتدور مشاهد مسرحية « مصرع غرناطة » حول مأساة جلاء العرب عن اسبانيا والظروف السياسية التي عاشتها هذه المدينة الاسلامية قبيل سقوطها .. وتقع المسرحية في ٣٢٥ صفحة من الحجم المتوسط ، وهي من منشورات عويدات بلبنان .

* « التاريخ العربي ومصادره » للمؤرخ السعودي الأستاذ أمين مدني ، وهو بحث مطول ينضوي تحت الموسوعة التاريخية « العرب في أحقاب التاريخ » ويدخل ضمن «تاريخ عصور ما قبل الاسلام»، وقد وفق المؤلف من الناحية التاريخية ، كما قال المؤرخ الكبير الراحل الأستاذ حبيب جاماتي ، « الى ازالة الغموض عن طائفة من الحوادث والآراء والمعتقدات والأقوال المتناقلة » . وقد تناول المؤلف البحث بطريقة تحليلية واعتمد المراجع العديدة . ويقع الكتاب في نحو ٦٤٠ صفحة من الحجم الكبير ، وهو مذيل بفهارس مرتبة لأسماء الأعلام والأمكنة والموضوعات الواردة في البحث .. بالاضافة الى خريطة للجزيرة العربية في القرن الأول الهجري (القرن السابع الميلادي)، وقد صدر عن دار المعارف بمصر .

* « الاسلام في شعر شوقي » للدكتور أحمد الحوفي ، وهو دراسة مستفيضة يتناول فيها المؤلف مظهرا من مظاهر الصلات بين الاسلام والأدب ، مع التعريف ببعض خصائص الاسلام كما عرضها شوقي في موضوعات دينية .. والكتاب مقسم الى ستة فصول يعرض فيها المؤلف للأصالة في شعر شوقي الديني وايمانه بالله وتنويهه بخصائص الاسلام .. ويقع الكتاب في نحو ٣١٠ صفحات من الورق الصقيل ، وهو مذيل بفهرس مرتب ومنسق ، وقد صدر عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية — لجنة التعريف بالاسلام ، في القاهرة

* «الناسك» للاديبة جميلة العلايلي ، وهي قصة اجتماعية استقت المؤلفة احداثها من صميم مجتمعها وواقع بيئتها .. وهي تقع في نحو ١٦٥ صفحة من الحجم الكبير ، وقد طبعت بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ■



العربة الشراعية تنساب برفق فوق رمال الصحراء الناعمة وعلى متنها القبطان ورفيق له .

الابحار عبر الرمال

هواية جديدة تخرج إلى حيز الوجود

كثيراً ما توحي طبيعة الأرض ومزاياها الجغرافية الى الانسان بالتفكير في ابتكار وسائل وأساليب ترفيهية توائم الظروف العملية التي يعيشها المرء المقيم فيها .. فيمارس خلالها هوايات يجد فيها من مباهج المتعة والسرور ما يروح عن مشاغله ويسري عن متاعبه : فتشيع في كوامن نفسه بواعث الراحة والهدوء ..

والهوايات ، وان اختلفت أنماطها وأشكالها وسبل مزاولتها ، ترمي في مجملها الى تحقيق غاية واحدة هي الترفيه والمتعة .. ولكل هواية انصار وعشاق يروجون لها ويسعون الى تطويرها وترغيب الناس في الاقبال على ممارستها ومزاولتها .. وها نحن اليوم بصدد هواية جديدة ترجع ولادتها الى سنوات قليلة ماضية تعرف بـ « الابحار عبر الرمال » أو « ركوب الرمال بالعربات الشراعية » ان صح هذا التعبير (Sand Sailing) .

ومن طريف ما يذكر في صدد هذه الهواية الجديدة ، التي اتخذت من السهول الرملية مدرجا لها ومنطلقا لممارستها ، انها تعتبر من الهوايات المستحدثة التي شهدتها السهول الرملية القريبة من بلدة « طريف » الواقعة في





شمال المملكة العربية السعودية على يد أحد الموظفين الأمريكيين الذين يعملون في تلك المنطقة. وقد قام بمساعدة عدد من الأصدقاء بابتكار عربة شراعية أطلق عليها اسم «مارك-١» ، وكان ذلك عام ١٩٦٧ . وهذه العربة عبارة عن أنابيب من الألومينيوم وعجلات دراجة عادية ومظلة «براشوت» قديمة حوّلها صاحبها الى شراع ثبته في العربة .

ويبلغ طول هذه العربة اثني عشرة قدما ، وعرضها ثماني أقدام ، وارتفاعها حتى أقصى عمود الصاري تسع عشرة قدما ، والمسافة بين أسفل الصاري والأرض حوالي القدمين ، كما بلغت أقصى سرعة لها أكثر من ثلاثين ميلا في الساعة ، لكن سرعتها في السير العادي ، وهي تنساب برفق فوق الرمال قدرت بحوالي خمسة وعشرين ميلا في الساعة . وقد كانت نسمات الصحراء الخفيفة قادرة على دفع العربة وهي تحمل القبطان وراكبا آخر ، واذا ما اشتدت الريح اندفعت بشكل أسرع تاركة آثار عجلاتها فوق الرمال ، وكما هي الحال بالنسبة للقوارب الشراعية ، فان سرعتها تتوقف على مدى تحريك العربة والشراع في الزوايا الصحيحة المواتية لاتجاه الريح وسرعتها .

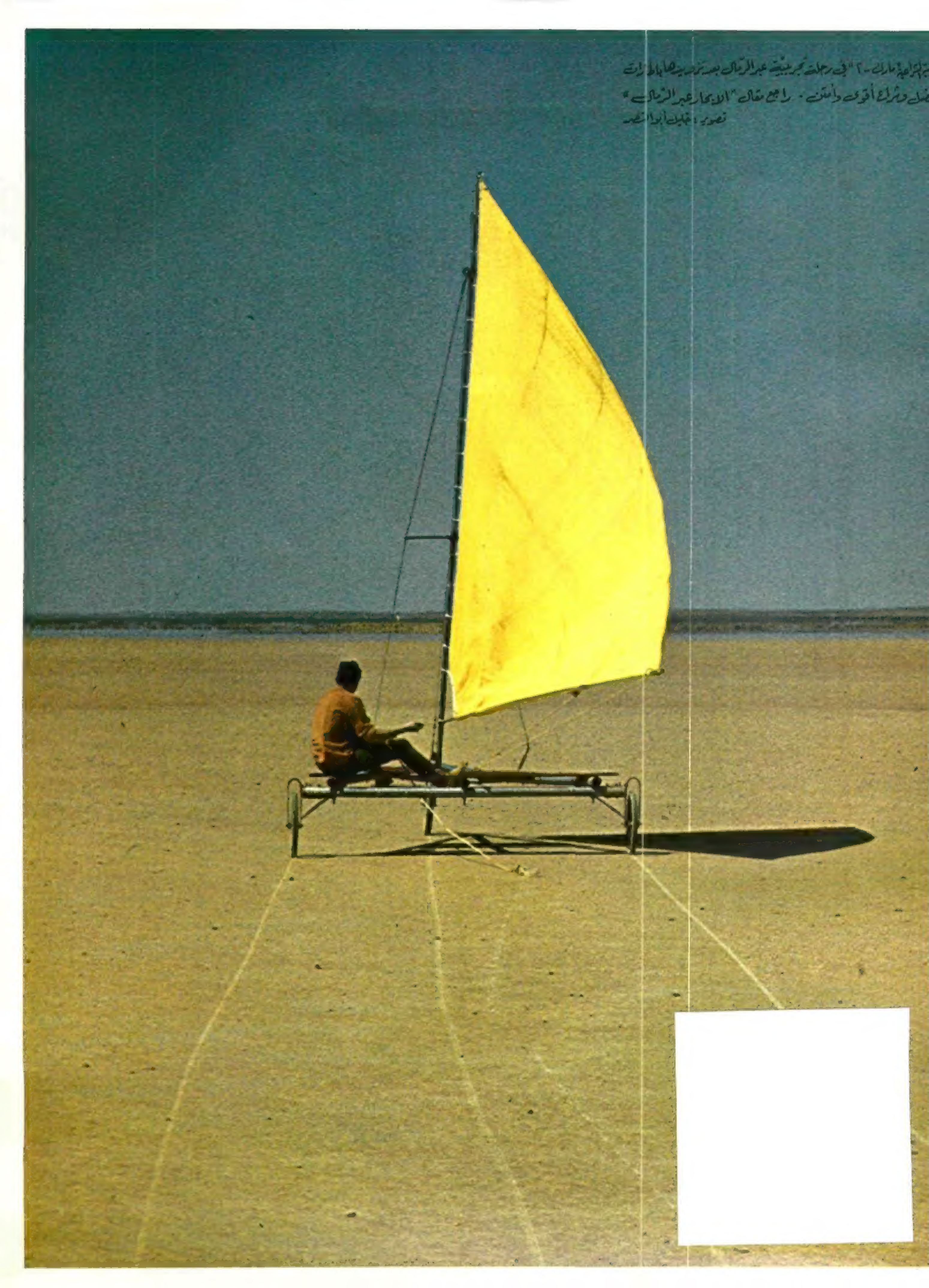
ومن خلال التجارب التي أجريت على هذه العربة تبين أن استخدام الحبل والقدم معا في توجيه الدفة يتطلب دقة بالغة لدفع العربة في اتجاه واحد .

ومما هو جدير بالذكر أن هواة الابحار عبر الرمال وجدوا في نجاح محاولاتهم الأولى حافزا على تطوير العربة «مارك — ١» وادخال تحسينات عليها ، فجعلوا اطار العربة المعدني ، لا يرتفع عن سطح الأرض الا بضع بوصات فقط ، وزودوها بعجلتين قويتين وعريضتين ، وبعجلة ثالثة للقيادة وبكابح للسرعة . وقد روعي أن يكون الشراع من قماش «الديكرون» السميك نسبيا . وبعد ادخال هذه التحسينات أصبحت العربة تسير بسرعة ثلاثين ميلا في الساعة .

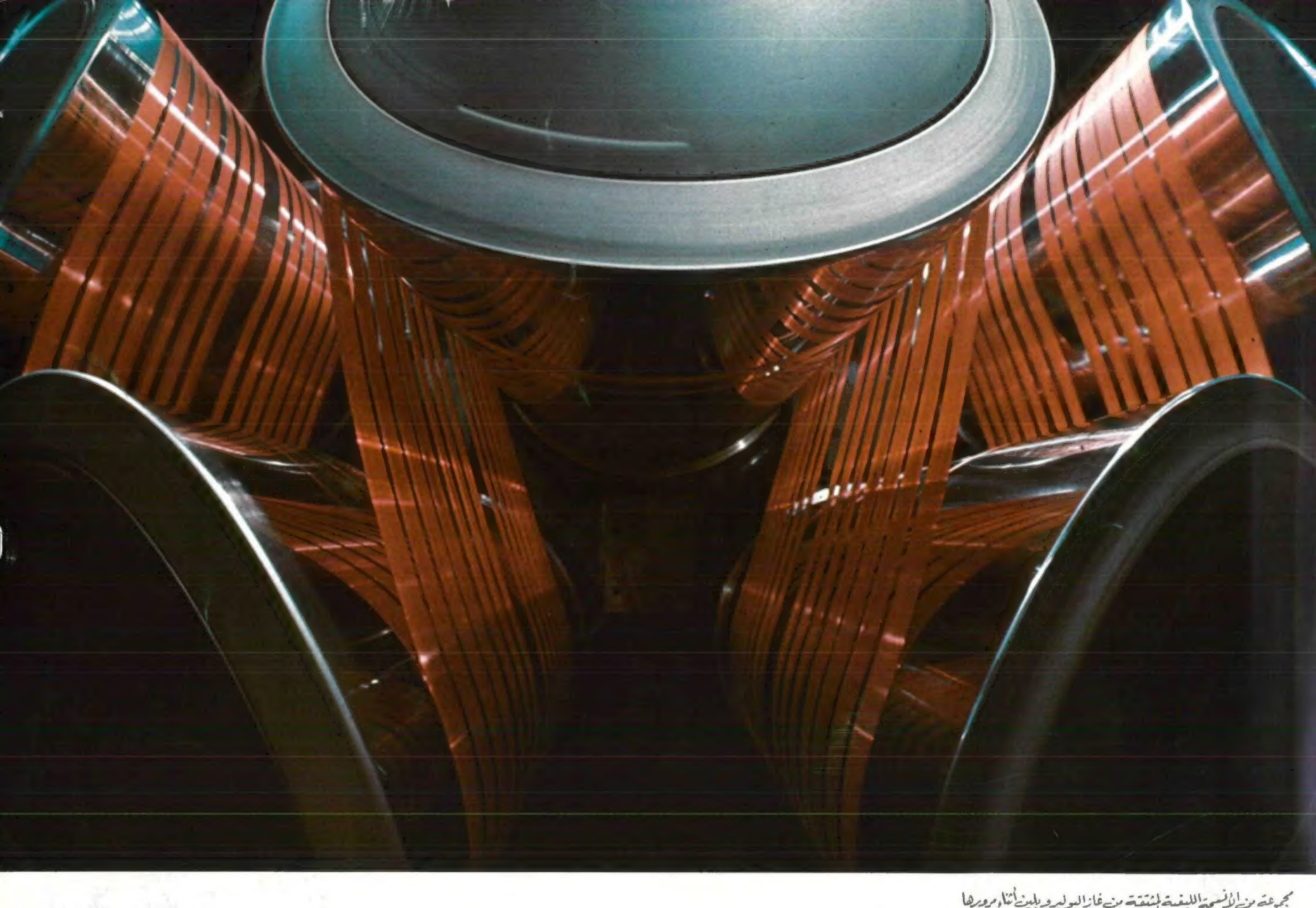
ولا شك أن ادخال مزيد من التحسين على هذا النوع من العربات سيجعل منها وسيلة جديدة تتيح لهواة الابحار عبر الرمال ممارسة هذه الهواية والاستمتاع بجمال الصحراء الطبيعي الأخاذ ■

يعقوب سلام — من هيئة التحرير

تصوير : خليل أبو النصر



ية الشراعية مارك - ٢" في رحلة تجريبية عبر الرمال بعد تزويدها بإطارات
ضل وشراع أقوى وأمتن . راجع مقال "الإبحار عبر الرمال"
تصوير : خليل أبو النصر



مجموعة من الأنسجة الليفية المشتقة من غاز البوليبروبلين أثناء مرورها